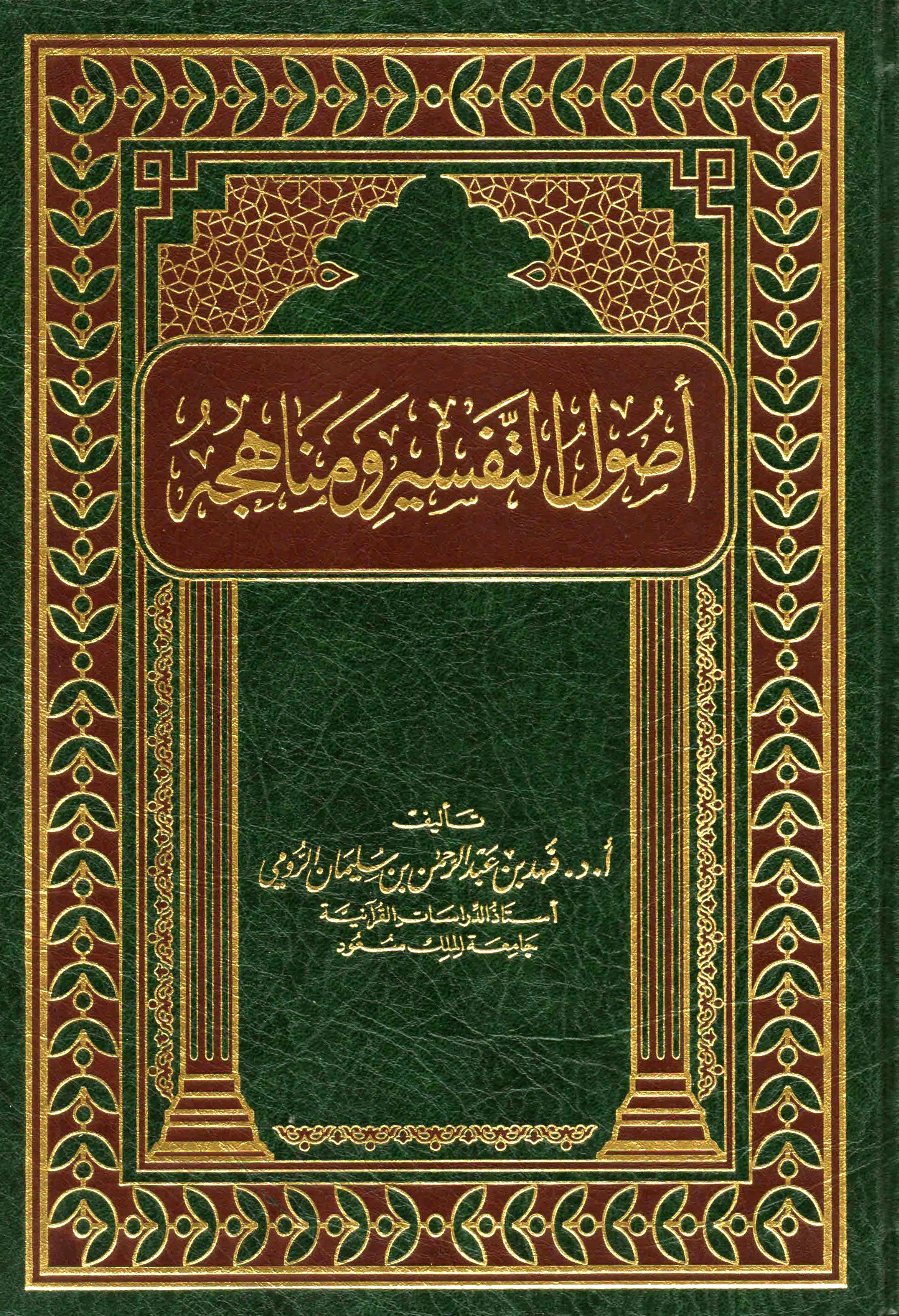


أصول التفسير ومناهجه
تأليف
أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية
جامعة الملك سعود



تأليف

أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

أستاذ الدراسات القرآنية

جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

ح فهد بن عبدالرحمن الرومي، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الرومي، فهد بن عبدالرحمن
أصول التفسير ومناهجه./ فهد بن عبدالرحمن الرومي - ط٣..
الرياض، ١٤٣٨هـ
٢٠٩ص؛ ..سم
ردمك: ١-٣٠٦٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨
١-القرآن - مناهج التفسير أ. العنوان
ديوي: ٢٢٧.٢ ١٤٣٨/١٥٧٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/١٥٧٣
ردمك: ١-٣٠٦٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثالثة
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

أ.د/ فهد بن عبدالرحمن الرومي
العنوان البريدي: ٣٠٧٠ بارق الروابي - وحدة رقم ١
الرياض ٧٨٧٨١٤٢١٤
البريد الإلكتروني: DR.f2012@hotmail.com
جوال ٠٠٩٦٦٥٠٠٦٥٥٤١١

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

وإن من خير ما تصرف فيه الجهود وتبذل فيه الطاقات هو نشر هذا الدين وبيانه للناس، بأسلوب مُيَسَّر، يُقَرِّبُ لهم البعيد، ويجلو لهم القريب.

وقد صدر لي كتاب بعنوان: (بحوث في أصول التفسير ومناهجه) وصدر منه تسع طبعات فقد كان يدرس في عدد من كلياتنا الجامعية، وقد تلقيت ملحوظات عدة ممن قاموا بتدريسه ومن الزملاء في كليتي فرأيت أن أعيد النظر فيه إضافة وحذفاً وتصحيحاً مما أخرجه عن صورته الأولى ورأيت الأخذ باقتراح بعض الزملاء بتغيير مسماه حتى لا تشكل الإحالات على طبعات مختلفة فسميته (أصول التفسير ومناهجه).

أسأل الله أن ينفع به طلبة العلم والباحثين مكرراً رغبتي في أن يتفضلوا بتزويدي بملحوظاتهم واستدراكاتهم.

وأسأله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

وكتبه

أ.د/ فهد بن عبدالرحمٰن الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية
جامعة الملك سعود ـ الرياض
dt.f2007@hotmail.com

تعريف علم أصول التفسير

تعريفه:

اسم هذا العلم مكون من كلمتين (أصول، التفسير) وسأذكر تعريف كل كلمة لغة واصطلاحاً في حالة الإفراد. ثم معناهما في حالة التركيب:

الأصول لغة:

جمع أصل، وهو في اللغة:

أساس الشيء الذي يقوم عليه، وهو عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره.

وفي الشرع:

عبارة عما يبنى عليه غيره ولا يبنى هو على غيره، والأصل ما يثبت حكمه بنفسه، ويبنى عليه غيره[1]، وأصول العلوم: قواعدها التي تبنى عليها الأحكام.

التفسير لغة:

اختلف علماء اللغة في لفظ (التفسير):

فقيل: هو (تفعيل) من (الفَسْر) بمعنى الإبانة وكشف المراد عن

(١) التعريفات: للجرجاني، ص٢٢.

اللفظ المُشْكِل[1]. قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[2]. أي: تفصيلا[3].

وقيل: هو (مقلوب) من (سَفَرَ) ومعناه أيضاً: الكشف. يقال: سَفَرَت المرأةُ سُفُوراً إذا ألقَتْ خِمَارَها عن وجهها وهي سافرة. وأسفر الصبْحُ: أضاء. وإنما بَنَوا «فَسَرَ» على التفعيل فقالوا: «تفسير» للتكثير[4].

وقال الراغب الأصفهاني: (الفَسْرُ) و(السَفْرُ) يتقاربُ معناهما كتقارب لفظيهما لكن جُعِلَ الفَسْرُ لإظهار المعنى المعقول... وجعل السَفْر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سَفَرت المرأةُ عن وجهها وأسفر الصبح[5].

التفسير اصطلاحاً:

والتفسيرُ اصطلاحاً: عِلْمٌ يُفهم به كتابُ الله تعالى المُنزّلُ على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمِه[6].

وقال أبو حيان: التفسير علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك[7].

الفرق بين التفسير والتأويل[8]:

ورد في بيان الفرق بين التفسير والتأويل أقوال عديدة وما ذاك إلا

(١) تهذيب اللغة: الأزهري، ١٢/٤٠٧.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.
(٣) البرهان في علوم القرآن: للزركشي، ١/١٤٨.
(٤) المرجع السابق: ١/١٤٧.
(٥) المرجع السابق: ٢/١٤٨.
(٦) البرهان في علوم القرآن: للزركشي، ١/١٣، وانظر: الإتقان للسيوطي، ٢/١٧٤.
(٧) البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي، ١/١٣ ـ ١٤.
(٨) للشيخ حامد العمادي (مفتي دمشق) رسالة لطيفة بعنوان: «التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل».

نتيجة لبعد أصحاب هذه الأقوال عن معناها عند السلف، إذ أن لهما عند السلف معنيين لا ثالث لهما:

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «أن للتأويل في اصطلاح السلف معنيين:

الأول: تفسير الكلام وبيانه سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون معنى التأويل والتفسير متقارباً أو مترادفاً، وهذا هو الذي عناه مجاهد: أن العلماء يعلمون تأويله، ومحمد بن جرير الطبري حين يقول: (القول في تأويل قوله كذا وكذا) (واختلف أهل التأويل في هذه الآية) ونحو ذلك ومراده التفسير.

الثاني: هو نفس المراد بالكلام:

فإن الكلام إذا كان طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به[1].

وعلى هذا فللتأويل عند السلف معنيان:

الأول: أن التأويل والتفسير بمعنى واحد.

وقد ورد هذا الاستعمال في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ومفسري السلف.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[2]، أي: وما يعلم تفسيره إذا كان الوقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ وتكون الواو عاطفة. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾[4]، كل ذلك وغيره بمعنى التفسير.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع عبدالرحمٰن بن قاسم وابنه محمد، ٢٨٨/١٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٦.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٤٤.

ومن السنة: دعاء الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما «**اللَّهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»[1]، أي: التفسير.

ومن أقوال الصحابة قول ابن عباس رضي الله عنهما: «أنا ممن يعلم تأويله»[2]، يعني: تفسيره.

ومن أقوال التابعين قول مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: «الراسخون في العلم يعلمون تأويله»[3]، يعني: تفسيره.

ومن أئمة السلف قول الشافعي (ت٢٠٤) رحمه الله تعالى في كتابه الأم في عدة مواضع «وذلك ـ والله أعلم ـ بَيِّنٌ في التنزيل، مستغنى به عن التأويل»[4]، يعني: التفسير، وقال ابن الأعرابي (ت٢٣١): «التفسير والتأويل والمعنى واحد»[5]، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠): «التأويل: التفسير»[6]، وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١): «التأويل والمعنى والتفسير واحد»[7].

وأشهر المفسرين وإمامهم ابن جرير الطبري (ت٣٢٤) أكثر من قول: القول في تأويل قوله تعالى...»، وقوله: «واختلف أهل التأويل في هذه الآية»، ويعني بهذا كله التفسير.

والثاني: أن التفسير هو معنى اللفظة، والتأويل هو نفس المراد بالكلام، أي: تحققه وخروجه إلى الواقع المحسوس.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٦٦/١، والطبراني في معجمه الكبير (١٠٦١٤) و(١٢٥٠٦).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٠٣/٦، رقم: ٦٦٣٢.
(٣) تفسير مجاهد ١٢٢/١، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٠٣/٦.
(٤) كتاب الأم: ٣١٩/٧، وانظر: ٢٨/٢، و٢٤٢/٤.
(٥) تهذيب اللغة: للنووي ٤٠٧/١٢.
(٦) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى ٨٦/١.
(٧) الإتقان: للسيوطي ١٧٣/١، وتهذيب اللغة ٢١٣/٣، ولسان العرب ٤٤٦/٩.

فإن كان خبراً كان تأويله وقوع المخبر به وتحققه كمن يقول: جاء محمد، فتفسيره: وصل محمد، وتأويله نفس المجيء والوصول وتحققه.

وقد ورد هذا الاستعمال في الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف.

فمن الكتاب: قول يوسف عليه السلام لأبيه يعقوب عليه السلام: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾(1)، فتحققت رؤياه ورفع أبويه على العرش وسجد له إخوته سجود تحية وكانت يومئذ التحية بالسجود.

ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾(2)، أي: يوم يأتي تحققه ووقوعه يوم القيامة.

وكذا في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(3)، على أن الوقف على لفظ الجلالة والمعنى حينئذ لا يعلم كيفية وقوع ووقت ما أخبر الله عنه من أخبار القيامة وأشراطها إلا الله.

ومن أقوال الصحابة رضي الله عنهم ما رواه البخاري رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾(4). عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن»(5)، يعني: يحققه ويعمل بأمره فامتثاله هو التأويل.

وما رواه سعيد بن جبير رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنه كان يصلي حيث توجهت به راحلته ويذكر أن

---

(1) سورة يوسف، الآية: ١٠١.
(2) سورة الأعراف، من الآية: ٥٣.
(3) سورة آل عمران، من الآية: ٧.
(4) سورة النصر، من الآية: ٣.
(5) رواه البخاري كتاب التفسير: باب ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾، ص٨٩٠، حديث ٤٩٦٨.

رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك، ويتأول هذه الآية ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1][2].

هذان المعنيان السابقان هما معنى التأويل الصحيح عند السلف وهما الواردان في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

ثم أطلق علماء أصول الفقه هذا المصطلح (التأويل) إطلاقاً:

ثالثاً: وهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.

وذلك أنهم قسموا الحكم إلى منطوق ومفهوم، وقسموا المنطوق إلى نص وظاهر ومؤول. وهو اصطلاح حادث على اللغة ومصطلح القرآن وقد صار المراد بالتأويل مشكلاً بسبب بروز هذا المصطلح الحادث[3].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «والتأويل في عرف المتأخرين من الفقهاء والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم وهو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف»[4].

وورد هذا القول عن ابن حزم[5] (ت٤٥٦)، وأبي الوليد الباجي[6] (ت٤٧٤)، وابن الجوزي[7] (ت٥٩٧)، وابن الأثير[8] (ت٦٠٦).

وقد أدَّى هذا القول إلى أخطاء كثيرة قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وأما التأويل بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١١٥.
(٢) تفسير الطبري: ط.أحمد شاكر ٥٣٠/٢.
(٣) مفهوم التفسير والتأويل: د.مساعد الطيار ص١٠٢ ـ ١٠٣.
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٨٨/١٣.
(٥) الإحكام في أصول الأحكام: لابن حزم، ٤٣/١.
(٦) الحدود: للباجي ص٤٨.
(٧) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ص٢١٦.
(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير ٨٠/١ ـ ٨١.

الاحتمال المرجوح كتأويل من تَأَوَّل (استوى) بمعنى: استولى ونحوه فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له؛ بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته»[١].

وقد أدى هذا الخلاف إلى إحداث أقوال أخرى أذكر منها:

رابعاً: أن الاختلاف بينهما في العموم والخصوص.

فقال الراغب الأصفهاني: «والتفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا»، ثم قال: «والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلٰهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ والتأويل يستعمل أكثره في الجمل»[٢].

وقال الطوفي: إن التأويل أعم لجريانه في الكلام وغيره يقال تأويل الكلام كذا، وتأويل الأمر كذا، أي: ما يؤلان إليه، بخلاف التفسير فإنه يخص الكلام ومدلوله، يقال: تفسير الكلام كذا والقضية كذا[٣].

خامساً: أن التفسير هو القطع بأن مراد الله كذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع، وهذا قول الماتريدي[٤].

سادساً: ومنهم من قال: التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية. قال الحسين بن الفضل البجلي: «التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية»[٥].

وقال أبو نصر عبدالرحيم بن عبدالكريم القشيري: ويعتبر في التفسير الاتباع والسماع، وإنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل»[٦].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية ٣٨٢/٥ ـ ٣٨٣.

(٢) مقدمة جامع التفاسير: للراغب الأصفهاني ص٤٧.

(٣) الإكسير في علم التفسير: للطوفي الصرصري، ص٢.

(٤) الإتقان: للسيوطي ١٧٣/٢.

(٥) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ١٥٠/٢.

(٦) المرجع السابق: ١٥٠/٢، والإتقان: ١٧٣/٢ ـ ١٧٤.

وقال الخازن: «الفرق بين التفسير والتأويل أنَّ التفسير يتوقف على النقل المسموع، والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح»[1].

مثال التفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ....﴾[2]. هما الأوس والخزرج، وقوله تعالى: ﴿... سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ...﴾[3]. هم فارس وأهل اليمن، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾[4]. هو الأخنس بن شريق، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ...﴾[5]. هو صهيب، فهذا ونحوه من التفسير ولا يتكلم فيه إلا بالسماع.

ومثال التأويل قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ...﴾[6]، قال بعضهم: أي شباناً وشيوخاً. وقال آخرون: أي فقراء وأغنياء، وقال قوم: أي عزباناً ومتأهلين، وقال جماعة: أي أصحاء ومرضى، وقالت طائفة: أي نشاطاً وغير نشاط، فهذا من التأويل، وكله جائز مقبول ولا بأس بالقول به بما يوافق الأصول ولم يخالف العقول[7].

سابعاً: وقيل: علم التفسير للخلق وعلم التأويل للحق. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[8].

وهو فيما يرجع إلى الغيب الذي أبهمه الله تعالى كالساعة متى وقوعها وأشراطها ومتى ظهورها.

ثامناً: وقال أبو طالب الثعلبي[9]: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة

---

(١) تفسير الخازن: ١/١٠.

(٢) سورة الحجرات، من الآية: ٩.

(٣) سورة الفتح، من الآية: ١٦.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٠٤.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ٢٠٧.

(٦) سورة التوبة، من الآية: ٤١.

(٧) التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل: حامد العمادي صفحة (٦) (مخطوطة).

(٨) سورة آل عمران، من الآية: ٧.

(٩) وقيل التغلبي بالتاء والغين ولم أجد له ترجمة.

أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والصَيِّب بالمطر، والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من (الأَوْلِ) وهو الرجوع لعاقبة الأمر، فالتأويل: إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير: إخبار عن دليل المراد. لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾[1]، تفسيره: إنه من الرَّصْدِ، يقال: رصدته، أي: رقبته، والمرصاد: مفعال منه، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبَة والاستعداد للعرض عليه»[2].

أنواع التفسير:

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: التفسير على أربعة أوجه:

وجه تعرفه العرب من كلامها.

وتفسير لا يعذر أحد بجهالته.

وتفسير يعلمه العلماء.

وتفسير لا يعلمه إلا الله»[3].

وقد بين الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الوجوه[4] بعد أن ذكر قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5] وغيرها من الآيات ثم قال: فقد تبين ببيان الله جلَّ ذكره: أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ:

١ ـ ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ:

وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره ـ واجبه وندبه وإرشاده ـ

---

(١) سورة الفجر، الآية: ١٤.

(٢) الإتقان: للسيوطي ١٧٣/٢، وانظر الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ص٧٠.

(٣) تفسير الطبري: ٧٥/١.

(٤) تفسير الطبري: ٧٣/١ ـ ٧٥ (باختصار يسير).

(٥) سورة النحل، الآية: ٤٤.

وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه.... وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله ﷺ له تأويله....

٢ ـ ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار:

وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور ونزول عيسى ابن مريم وما أشبه ذلك فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها، ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراطها لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه وبذلك أنزل ربنا محكم كتابه....

٣ ـ ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان العربي:

وذلك: إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها، فإن ذلك لا يجهله أحد منهم وذلك كسامع منهم لو سمع تالياً يتلو ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[١]، لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغي تركه مما هو مضره وأن الإصلاح هو ما ينبغي فعله مما فعله منفعة....

وقد ذكر الطبري والماوردي هذه الوجوه الثلاثة، أما الوجه الرابع الذي ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو: ما لا يعذر أحد بجهالته فقد قال الطبري رحمه الله تعالى أنه: «معنى غير الإبانة عن وجوه مطالب تأويله وإنما هو خبر عن أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به»[٢].

وقال الماوردي: «وهذا التقسيم الذي ذكره ابن عباس صحيح غير أن ما لا يعذر أحد بجهالته داخل في جملة ما يعلمه العلماء من الرجوع إليهم في تأويله وإنما يختلف القسمان في فرض العلم به فما لا يعذر أحد بجهله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١ ـ ١٢.

(٢) تفسير الطبري: ٧٦/١.

يكون فرض العلم به على الأعيان، وما يختص بالعلماء يكون فرض العلم به على الكفاية فصار التفسير منقسماً إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما اختص الله بعلمه كالغيوب فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره. . .

والثاني: ما يرجع فيه إلى لسان العرب (اللغة والإعراب).

والثالث: ما يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء وهو تأويل المتشابه واستنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العام. . .»[1].

تعريف أصول التفسير بمعناه المركب:

وأما (أصول التفسير) اصطلاحاً فهي:

القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير وتشمل:

ما يتعلق بالمفسر من شروط وآداب.

وما يتعلق بالتفسير من قواعد وطرق ومناهج وما إلى ذلك.

وقيل هو اصطلاحاً:

العلم الذي يتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن ويكشف الطرق المنحرفة أو الضالة في تفسيره.

وهو علم واحد من علوم كثيرة أنشئت لخدمة القرآن الكريم كعلم التجويد والقراءات والرسم وغيرها.

وله صلة وثيقة بعلوم القرآن، فهو من أهمها وأبرزها، وقد يطلق على علوم القرآن الكريم (أصول التفسير) من باب إطلاق الجزء على الكل وإظهاراً لمكانته فيها، وسُمّيَ بأصول التفسير لأنه يُبنى عليها علمُ التفسير حسب قواعده وشروطه.

---

(١) النكت والعيون: للماوردي ١/٣٧ ـ ٣٨.

غاية أصول التفسير:

وغاية هذا العلم ضبطُ التفسير بوضع القواعد الصحيحة والطرق السليمة والمناهج السديدة للتفسير، والشروط المحكمة والآداب الفريدة للمُفسّر.

وكما أنّ غاية التجويد النطق الصحيح لألفاظ القرآن فإن غاية أصول التفسير الفهم الصحيح لمعانيه.

وإن مثل علم أصول التفسير بالنسبة للتفسير كمثل علم النحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية فهو ميزان يضبط القلم واللسان ويمنعهما من الخطأ في آخر الكلم، فكذلك علم أصول التفسير هو ميزان للمفسر يضبطه ويمنعه من الخطأ في التفسير، وهو ميزان يتبين به التفسير الصحيح من التفسير الفاسد(١).

فائدة أصول التفسير:

ولهذا العلم فوائد ليس من السهل حصرها ومن أهمها:

١ ـ التزود بالثقافة العالية من المعارف القيمة والتسلح بسلاح العلم والمعرفة للدفاع عن القرآن الكريم ضد الأعداء الذين يبذلون وسعهم لتحريف معاني القرآن والإلحاد فيه.

٢ ـ معرفة الطرق الصحيحة لتفسير القرآن الكريم وما يُقبل منها وما يُرد ومعرفة من يصح تلقي التفسير عنه، ومن لا يصح تفسيره للقرآن.

٣ ـ معرفة القواعد التي تُعِينُ على فهم كتاب الله تعالى الفهم الصحيح حتى يَبني المسلمُ عقيدته على قاعدة صحيحة ثابتة.

٤ ـ الاطلاع على الجهود العظيمة التي بذلها علماء السلف للمحافظة

---

(١) أصول التفسير وقواعده: لخالد العك ص٣٠ ـ ٣١.

على القرآن الكريم لفظاً ومعنى، ومن ثمّ الاقتداء بهم في ذلك والسير على نهجهم.

موضوع أصول التفسير:

اعلم أنّ موضوع كل علم هو الشيء الذي يبحث ذلك العلم عن أحواله العارضة لذاته[1]. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ أصول التفسير تبحث في علم التفسير من حيث التعريف به ونشأته وتحديد قواعده وأسسه وحكمه وأقسامه وطرقه ومناهجه وأساليبه وأسباب وأنواع الاختلاف فيه ونحو ذلك.

فضل هذا العلم ومكانته:

لهذا العلم مكانة كبيرة وشرف عظيم ذلك أنّ شرف العلم من شرف المعلوم وأصول التفسير تبحث في علم التفسير وموضوع هذا العلم هو القرآن الكريم وهو خير الكلام لأنه كلام الله تعالى، فلا عجب أن تكون أصول التفسير من أشرف العلوم وأعلاها مكانة وأكثرها فضلاً.



(١) الإحكام في أصول الأحكام: للآمدي ١/٧.



نشأة علم التفسير ومراحله

جرت سنة الله تعالى في إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يبعث لكل أمة نبياً بلسان قومه وأن يكون كتابه بلسانهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾[1].

وظهر محمد ﷺ في جزيرة العرب وأنزل الله عليه القرآن بلسان قومه اللسان العربي ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾[2]. وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[3].

وكان القوم عَرباً خلصاً يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة العربية واللسان العربي، غير أن القرآن يعلو على سائر كلام العرب بألفاظه وأساليبه اللغوية والبلاغية فضلاً عن معانيه، ولذا فقد كانوا يتفاوتون في فهمه وإدراكه وإن كان كل منهم يدرك منه ما يوقفه على إعجازه، فكان بعضهم يفسر ما غمض على الآخر من معنى فإن أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم مرمى ولم يجدوا مَنْ يفسره لهم سألوا الرسول ﷺ فبينه لهم. وبهذا نشأ علم التفسير ثم مَرّ بمراحل أبرزها:

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ ـ ١٩٥.

المرحلة الأولى: التفسير في عهد الرسول ﷺ:

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1]، كما تكفل لنبيه محمد ﷺ أن يجمع القرآن في صدره ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾[2]، ثم كلف الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يبيّن لهم القرآن وأن يفسره لهم قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾[3].

ولذا فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى الرسول ﷺ فيما أشكل عليهم فهمه من القرآن فيجدون الجواب الشافي.

وقد اختلف العلماء في مقدار ما فسره الرسول ﷺ من القرآن إلى قولين:

الأول: أنّ الرسول ﷺ بَيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، وهذا قول ابن تيمية وغيره حيث قال: «يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ بَيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بَيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿... لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...﴾[4] يتناول هذا وهذا»[5].

واستدلوا بأدلة منها:

١ ـ آية النحل ﴿... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾[6].

والبيان يتناول الألفاظ والمعاني وكما أنه بيّن ألفاظه كلها فقد بيّن معانيه كلها.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٢) سورة القيامة، الآيتين: ١٦ ـ ١٧.
(٣) سورة النحل، من الآية: ٤٤.
(٤) سورة النحل، من الآية: ٤٤.
(٥) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية، تحقيق: د.عدنان زرزور، ص٣٥.
(٦) سورة النحل، الآية: ٤٤.

٢ ـ حديث أبي عبدالرحمٰن السُلمِي «حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل: فتعلمنا القرآن، والعمل جميعاً»[١].

٣ ـ وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا»[٢]. وما ورد أن ابن عمر رضي الله عنهما أقام على حفظ البقرة عدة سنين قيل ثمان سنين ذكره مالك[٣]. قالوا: ولو كان المراد مجرد الحفظ لما احتاج إلا لزمن يسير فدَلّ هذا على أنَ المراد فهم المعاني.

٤ ـ وقالوا: إنّ كل كلام المقصود منه فهم معانيه. دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فَنّ من العلم كالطبّ والحساب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم[٤].

الثاني: قالت طائفة: إن الرسول ﷺ لم يُبيّن لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات، قال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين... فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي ﷺ أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن؛ فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه»[٥].
واستدلوا بأدلة منها[٦]:

١ ـ ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لم يكن النبي ﷺ

---

(١) تفسير الطبري ٨٠/١، وقال الأستاذ أحمد شاكر: «هذا إسناد صحيح متصل وعَلل ذلك بأن إبهام الصحابي لا يضر، بل يكون حديثاً مسنداً متصلاً».
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٢٠/٣.
(٣) الموطأ: مالك بن أنس ٢٠٥/١.
(٤) لخصت هذه الأدلة من مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية: ص٣٥ ـ ٣٧.
(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨/١.
(٦) أورد هذه الأدلة: الدكتور محمد حسين الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه (التفسير والمفسرون) ٥١/١ وما بعدها.

يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علمه إياه جبريل عليه السلام[1].

٢ ـ قالوا: إن الله لم يأمر نَبيَّه محمداً ﷺ بالنَصّ على المراد في الآيات كلها لأجل أنّ يتفكر عباده في كتابه والعلمُ بالمراد فيما لم يُنَص على معناه يُستنبَط بأمارات ودلائل[2].

٣ ـ وقالوا: لو بَيّن الرسول ﷺ كُلّ معاني القرآن لَمَا كان لدعائه لابن عباس «**اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[3]، فائدة لأن الناس على حَدّ سَواء في تأويله فكيف يخص ابن عباس بهذا الدعاء[4].

الرأي الراجح:

والذي أراه أنَ الرسول ﷺ لم يبيّن معاني كل الآيات القرآنية لأن:

١ ـ من الآيات ما يرجع فهمها إلى معرفة كلام العرب والقرآن نزل بلغتهم ومثل هذا لا يحتاج إلى بيان.

٢ ـ ومنها ما يتبادر فهمه إلى الأذهان لظهوره وبيانه فلا يحتاج إلى بيان. مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ...﴾[5]. فالمتبادر أن المراد بالتحريم تحريم الوطء ولا يتبادر إلى الذهن غيره.

٣ ـ ومنها ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح وغير ذلك من الأمور الغيبية التي لم يُطلِعْ عليها نبيّه محمداً ﷺ نفسه فكيف يُبينها لأصحابه وهو لا يعلمها.

٤ ـ ومن الآيات ما لا فائدة في معرفة أكثر من معناها المتبادر ولا طائل في معرفة ما وراء ذلك مثل معرفة لون كلب أصحاب الكهف وعصا

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٨٤/١، وقال في ص٨٩: أنّ فيه علة لا يجوز معها الاحتجاج به.

(٢) انظر الإتقان: للسيوطي ١٧٤/٢ ـ ١٧٥.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٦٦/١، وصححه الألباني شرح الطحاوية، ص٢٣٤.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٣/١.

(٥) سورة النساء، من الآية: ٢٣.

موسى عليه السلام من أي الشجر كانت وأنواع الطيور التي أحياها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام، ومثل هذا لا يبينه الرسول ﷺ لأصحابه لما ذكرت.

وعلى هذا نستطيع الجزم بأنّ الرسول ﷺ لم يفسر لأصحابه كلّ آيات القرآن الكريم.

كما أنه لا يصح القول بأن الرسول ﷺ لم يفسر لأصحابه إلا الآيات القليلة وحديث عائشة رضي الله عنها الذي استدلوا به من رواية محمد بن جعفر الزبيري.

قال الطبري: «إنه ممن لا يعرف في أهل الآثار»[1]. وقال ابن كثير: «حديث منكر غريب»[2] وعلى فرض صحته فقد حمله أبو حيان على مغيبات القرآن وتفسيره لمجمله ونحوه مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله تعالى[3].

ويكفي في نقض هذا الرأي الروايات الكثيرة في كتب الصحاح المرفوعة للرسول ﷺ في بيان الكثير وليس القليل من آيات القرآن الكريم.

منهج الرسول ﷺ في التفسير:

لم يكن الرسول ﷺ يطنب في تفسير الآية، أو يخرج إلى ما لا فائدة في معرفته ولا ثمرة في إدراكه فكان جُلُّ تفسيره ﷺ إمَّا بياناً لمجمل، أو توضيحاً لمشكل، أو تخصيصاً لعام، أو تقييداً لمطلق أو بياناً لمعنى لفظ أو متعلقه.

ومن أمثلة تفسيره ﷺ ما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه بقوله: «سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن

(١) تفسير الطبري: ٨٩/١.
(٢) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير ٥/١.
(٣) البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي ١٣/١.

﴿قُوَّةٍ﴾[1]، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[2].

ومن الأمثلة بيان المراد بالمن في قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾[3]. روى سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الكمأة من المَنّ وماؤها شفاء للعين»**[4].

وما رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن المغضوب عليهم هم اليهود، وإن الضالين النصارى»**[5] وعن أبي ذر رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ عن المغضوب عليهم، قال: **اليهود**، قلت: الضالين؟ قال: **النصارى**»[6].

المرحلة الثانية: التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم:

ذكرنا ـ آنفاً ـ أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا عرباً خلصاً يفهمون القرآن ويدركون معانيه ومراميه بمقتضى سليقتهم العربية فهماً لا تعكره عجمة، ولا يشوهه شيء من قبح الابتداع، وتحكم العقيدة الزائفة[7].

وإذا خفي عليهم معنى أو دَقَّ عليهم مرمى رجعوا إلى الرسول ﷺ فبين لهم ذلك ووضحه، وإن لم يتيسر لهم ذلك رجعوا إلى اجتهادهم.

وكان التفاوت بينهم واضحاً في هذه الرتبة فكان بعضهم يرجع إلى بعض في تفسير بعض الآيات القرآنية ويسأله عن معناها، إذ التفاوت بينهم راجع إلى التفاوت في قوة الفهم والإدراك، والتفاوت فيما أحاط بالآية من

---

(١) سورة الأنفال، من الآية: ٦٠.

(٢) رواه مسلم: ١٥٢٢/٣ باب فضل الرمي.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٥٧.

(٤) رواه البخاري كتاب التفسير، حديث رقم: ٤٤٧٨، ص٧٦١.

(٥) رواه أحمد في مسنده ٣٧٨/٤ ـ ٣٧٩، والطبري في تفسيره ١١٠/١، وابن حبان في صحيحه ح٧٢٠٦، ١٨٣/١٦ ـ ١٨٤.

(٦) رواه ابن مردويه انظر الإتقان: للسيوطي ص٨٨٥، وتفسير ابن كثير ٣٠/١.

(٧) انظر التفسير والمفسرون: للذهبي ٦/١.

ظروف وملابسات، بل كانوا يتفاوتون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة[1] وظهر لآخرين منهم، ولا ضير في هذا فإن اللغة وإنْ أحاط بها مجموع أهلها فإنه لا يُحيط بها كلُ فرد من أهلها فقد خفي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه معنى الأبّ في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾[2]. ومعنى التخوف في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ...﴾[3] حتى قال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص[4].

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها»[5].

وهذا عدي بن حاتم رضي الله عنه لم يفهم المراد بقوله تعالى: ﴿... وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ...﴾[6]. فكان يجعل عند رأسه عقالاً أبيض وعقالاً أسود حتى بين له الرسول ﷺ المراد[7].

ويرجع تفاوتهم في فهم القرآن ـ كما أشرنا ـ إلى أمور عديدة منها:

١ ـ تفاوتهم في أدوات الفهم كالعلم باللغة فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها مُلِماً بغريبها، ومنهم من كان دون ذلك.

٢ ـ وتفاوتهم في ملازمة الرسول ﷺ وحضور مجالسه.

٣ ـ وتفاوتهم في معرفة أسباب النزول وغيرها مما له تأثيره في فهم الآية.

---

(١) المرجع السابق: ٣٤/١.
(٢) سورة عبس، الآية: ٣١.
(٣) سورة النحل، من الآية: ٤٧.
(٤) الموافقات: للشاطبي: ٨٧/٢ ـ ٨٨.
(٥) الإتقان: للسيوطي ١٤٩/١.
(٦) سورة البقرة، من الآية: ١٨٧.
(٧) انظر صحيح البخاري ١٥٦/٥.

٤ ـ وتفاوتهم في العلم الشرعي.

٥ ـ وتفاوتهم في مداركهم العقلية شأنهم شأن غيرهم من البشر، كل هذا وغيره كان من أسباب تفاوتهم في معرفة القرآن وتفسيره، ولذا قال مسروق رحمه الله تعالى: «جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ ـ يعني: الغدير ـ فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهلُ الأرض لأصدرهم»[١].

ومن الأمثلة على تفسير الصحابة رضي الله عنهم:

تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للفظة (عصيب) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧﴾[٢]. قال ابن عباس: عصيب: شديد[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾[٤]. قال سالم رضي الله عنه: اليقين: الموت[٥].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ۝٥١﴾[٦]. قال أبو هريرة رضي الله عنه: القسورة: قسور الأسد[٧].

وقد يقع بينهم ـ رضي الله عنهم ـ اختلاف في التفسير كما وقع الاختلاف في تفسير (القرؤ) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[٨] على قولين:

---

(١) التفسير والمفسرون: للذهبي ٣٦/١.
(٢) سورة هود، الآية: ٧٧.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه باب سورة هود، ص٨٠٥.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه باب تفسير سورة الحجر ص٨١٣.
(٦) سورة المدثر، الآية: ٥١.
(٧) أخرجه البخاري: باب تفسير سورة المدثر، ص٨٧٦.
(٨) سورة البقرة: الآية: ٢٢٨.

الأول: الحيض وقال به عمر وعلي وأبي وابن مسعود وأبو موسى الأشعري وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

الثاني: الطهر وقال به عائشة وابن عمر ومعاوية وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين[1].

وإذا أشكل عليهم معنى في اللغة بحثوا عن مصادرها فقد روى أبو الصلت الثقفي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[2] بنصب الراء من (حَرَجاً) فقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله ﷺ: «ضيقاً حَرِجاً» بكسر الراء[3]، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أبغوني رجلاً من كنانة، واجعلوه راعي غنم وليكن مُدْلِجياً. فأتوا به عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال عمر: يا فتى ما الحرجة؟ قال الحرجة فينا: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، قال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير»[4].

قال محمود شاكر ـ رحمه الله تعالى ـ: «وهذا خبر عزيز جداً في بيان رواية اللغة وشرحها، وسؤال الأعراب والرعاة عنها»[5].

مزايا تفسير الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ:

وقد تميز تفسير الصحابة رضي الله عنهم بمزايا منها:

١ ـ قلة الأخذ بالإسرائيليات وتناولها في التفسير لحرصه ﷺ على اقتصار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على نبع الإسلام الصافي الذي لم

---

(١) انظر تفسير الطبري: تحقيق: شاكر، ٤/٥٠٠ ـ ٥١٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٣) قرأ بكسر الراء في «حرجاً» نافع وعاصم من رواية أبي بكر شعبة وقرأ الباقون بالفتح. إعراب القراءات السبع وعللها: ابن خالويه ١/١٦٩.

(٤) تفسير الطبري: تحقيق: شاكر ١٢/١٠٤.

(٥) تفسير الطبري: تحقيق شاكر، حاشية رقم ٤، ١٢/١٠٤.

تكدره الأهواء ولم تَشُبْه الاختلافات والافتراءات يدل على هذا المقصد غضبه ﷺ حين رأى في يد عمر ـ رضي الله عنه ـ صحيفة من التوارة[1].

٢ ـ لم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله، إذ إن بعض الآيات من الوضوح لديهم بحيث لا تحتاج إلى خوض في تفسيرها لتضلعهم في اللغة ومعرفتهم بأحوال المجتمع آنذاك وغير ذلك من الأسباب.

٣ ـ وقد كانوا لا يتكلفون التفسير ولا يتعمقون فيه تعمقاً مذموماً، فقد كانوا يكتفون في بعض الآيات بالمعنى العام ولا يلتزمون بالتفصيل فيما لا فائدة كبيرة في تفصيله، فيكتفون مثلاً بمعرفة أنّ المراد بقوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾[2] أنه تعداد لنِعَمِ الله تعالى على عباده[3].

٤ ـ قلة تدوينهم للتفسير وأنّ أغلب ما روي عنهم كان بالرواية والتلقين وليس بالتدوين، وإن كان بعض الصحابة يعتني بالتدوين فقد دَوّنَ عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ صحيفته التي يسميها الصادقة ويقول عنها: «هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد»[4]. وهي موجودة في مسند الإمام أحمد[5] لكن هذا التدوين كان نادراً.

منهج الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في التفسير:

يقوم منهج الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في التفسير على ثلاثة أسس:

الأول: تفسير القرآن بالقرآن:

فإن من آيات القرآن ما جاء مجملاً في موضع وجاء في موضع آخر

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٣٨٧/٣، والدر المنثور: للسيوطي ٤٨/٢.

(٢) سورة عبس، الآية: ٣١.

(٣) مجموع الفتاوى: لابن تيمية جمع عبدالرحمٰن بن قاسم وابنه محمد ٣٧٢/١٣.

(٤) الطبقات الكبرى: لابن سعد، ص١٨٩، قسم ٢، ج١٧، وتقييد العلم: للخطيب البغدادي ص٨٤.

(٥) مسند الإمام أحمد: من ٢٣٥/٩، والجزئين (١٠) و(١١) بكاملهما وج(١٢) إلى ص٥١.

مبيناً، ومنه ما فيه إيجاز، وما فيه إطناب، ومنه ما فيه عموم وما فيه خصوص، وما فيه إطلاق، وما فيه تقييد، ومثل هذا يُفَسَّرُ بعضه ببعض.

فقصص القرآن مثلاً جاءت في بعض المواضع موجزة وجاءت القصة نفسها في موضع آخر مفصلة كقصة آدم وإبليس، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون.

وهذا النوع هو أحسن طرق التفسير كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى[١].

الثاني: تفسير القرآن بأقوال الرسول ﷺ:

وإن لم يجد الصحابة - رضي الله عنهم - تفسير الآية في القرآن رجعوا إلى الرسول ﷺ فسألوه عنها فبينها لهم لقوله تعالى: ﴿... وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٢].

والأمثلة على أسئلة الصحابة - رضي الله عنهم - للرسول ﷺ في التفسير كثيرة، منها ما رواه أحمد والشيخان[٣] وغيرهم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ...﴾[٤]. شق ذلك على الناس وقالوا: يا رسول الله فأيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: **إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح:** ﴿... يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٥]. **إنما هو الشرك.**

وروى الترمذي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر فقال: **«يوم النحر»**[٦].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير ابن تيمية ص٩٣.

(٢) سورة النحل، من الآية: ٤٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٧٨/١، ورواه البخاري في صحيحه ٤٨/٨، ورواه مسلم في صحيحه ١١٤/١ - ١١٥.

(٤) سورة الأنعام، من الآية: ٨٢.

(٥) سورة لقمان، من الآية: ١٣.

(٦) الجامع الصحيح، للترمذي: ٢٩١/٣.

وما أخرجه أحمد والشيخان[1] عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من نُوقش الحساب عُذّب**». قلت: أليس يقول الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[2]؟! قال: ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض.

بل كان كثير من تفسيره ﷺ ابتداءً من غير سؤال كما روى مسلم[3] وغيره عن عُقْبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[4] **ألا وإن القوة الرمي ألا وإن القوة الرمي ألا وإن القوة الرمي**.

وما أخرجه أحمد ومسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثر نهر أعطانيه الله عزَّ وجلَّ في الجنة**»[5].

وقد يفسر الصحابي الآية بتفسير الرسول ﷺ لها من غير أن يصرح بسماعه لتفسيرها من الرسول ﷺ[6] فقد سأل رجل أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ فقال قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[7]، والله إن كان كل ما عملنا جزينا به هلكنا؟ فقال أبي: والله إن كنت لأراك أفقه مما أرى! لا يصيب رجلاً خدش ولا عثرة إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر حتى اللدغة والنفحة»[8]. وهذا هو جواب النبي ﷺ لأبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه[9] ـ.

وسأل رجل حذيفة رضي الله عنه فقال: يا أبا عبدالله أرأيت قوله

---

(١) مسند الإمام أحمد ٦/٩١، وصحيح البخاري ٧/١٩٧، وصحيح مسلم ٤/٢٢٠٤.
(٢) سورة الانشقاق، الآية: ٨.
(٣) صحيح مسلم ٣/١٥٢٢.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٥) مسند الإمام أحمد ٣/٢٣٦، وصحيح مسلم ١/٢٠٠ ـ ٢٠١.
(٦) انظر: نقد الصحابة والتابعين للتفسير: د.عبدالسلام الجار الله ص٤٧.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٢٣.
(٨) تفسير الطبري: ٧/٥١٦.
(٩) تفسير الطبري: ٧/٥٢١، وأحمد في مسنده ١/١١، والحاكم في مستدركه ٣/٧٤ ـ ٧٥.

تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]، أكانوا يعبدونهم؟ قال: «**لا ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه**»[2]. وهذا هو جواب النبي ﷺ لعدي بن حاتم[3].

وسأل رجل سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ فقال: يا أبا عبدالله، آية من كتاب الله قد بلغت مني كل مبلغ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[4]، فقال سلمان: «هو الشرك بالله تعالى». وهذا هو ما أجاب به الرسول ﷺ لأصحابه[5].

الثالث: الاجتهاد والاستنباط:

فإن لم يجد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ التفسير في القرآن ولا في سنة رسول الله ﷺ اجتهدوا لأنهم عرب خُلّصٌ شاهدوا التنزيل وحضروا مجالس الرسول ﷺ والقرآن نزل بلسان عربي مبين، وهذا فيما يحتاج إلى اجتهاد وإعمال ذهن وقد توافرت عندهم أدوات الاجتهاد فهم[6]:

أولاً: يعرفون أوضاع اللغة العربية وأسرارها وهذا يعينهم على معرفة الآيات التي يتوقف فهمها على فهم اللغة العربية.

ثانياً: يعرفون عادات العرب وأخلاقهم، وهذا يُعين على فهم ما يتعلق بإصلاح عاداتهم وتهذيب سلوكهم من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٞ فِى ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[7]. وقوله: ﴿... وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ...﴾[8]. ومثل هذا يَفهُم المراد منه من كان يعرف عادات العرب في الجاهلية.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.
(٢) تفسير الطبري: ٤١٨/١١، وتفسير ابن أبي حاتم ١٧٨٤/٦.
(٣) انظر: ص٢٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.
(٥) انظر: ص٣١.
(٦) انظر: التفسير والمفسرون: للذهبي ٥٨/١ ـ ٥٩.
(٧) سورة التوبة، من الآية: ٣٧.
(٨) سورة البقرة، من الآية: ١٨٩.

ثالثاً: معرفتهم بأحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن الكريم وهذا يُعينهم على معرفة الآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى وما يأتون من أمور وما يُدبرون للمسلمين.

رابعاً: معرفة أسباب النزول فهم الذين شاهدوا التنزيل وحضروا الأحداث والوقائع ومعرفة ذلك تُعين على فهم كثير من الآيات ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمُسَبّب[1].

خامساً: قوة الفهم والإدراك فقد آتاهم الله عقلاً وفهماً جَلَوا به كثيراً من الأمور وهذا أمر معلوم من سيرتهم - رضي الله عنهم - وبهذه الأمور فَهِمَ الصحابة كثيراً من آيات القرآن الكريم التي لم يَرِدْ تفسيرها في الكتاب ولا في السنة.

وهم يتفاوتون في معرفة معاني القرآن حسب تفاوت مداركهم وتحصيلهم وحسب تفاوت قدراتهم العقلية، ولذا يقع بينهم اختلاف في التفسير كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

واشتهر عدد من الصحابة بالتفسير هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير بن العوام وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعائشة - رضي الله عنهم - أجمعين وهؤلاء هم الذين اشتهروا بالتفسير.

وهناك عدد آخر من الصحابة نُقِلَ عنهم في التفسير نقل قليل لم يصل بهم إلى درجة الشهرة ومنهم أنس وأبو هريرة وابن عمر وجابر بن عبدالله وعبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم -.

أما أكثر الصحابة - رضي الله عنهم - رواية في التفسير فأربعة هم:

١ - علي بن أبي طالب.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية، ص٤٧.

٢ ـ عبدالله بن مسعود.

٣ ـ عبدالله بن عباس.

٤ ـ أبي بن كعب.

أما علي ـ رضي الله عنه ـ فيرجع السبب في ذلك إلى سعة علمه وتفرغه عن مَهَامّ الخلافة مدة أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ وتأخر وفاته إلى زمنٍ كثرت حاجةُ الناس فيه إلى مَنْ يُفَسّر لهم القرآن لاتساع رقعة الإسلام وكثرة الداخلين فيه.

أما الثلاثة الباقون فلأنهم أنشأوا ما نستطيع أن نسميه بالمصطلح الحديث مدارس للتفسير وهي:

١ ـ مدرسة ابن مسعود في الكوفة:

وابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ سادس رجل دخل في الإسلام، وأول من جهر بالقرآن في مكة بعد الرسول ﷺ وكان خادماً لرسول الله ﷺ وصاحب طهوره وسواكه ونعله ويمشي أمامه إذا سار، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، قرأ القرآن على الرسول ﷺ حتى فاضت عيناه وكان الرسول ﷺ يقول: «**من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنْزِل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد**»[(١)]. بعثه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى الكوفة ليُعلّم أهلها وقال: لقد آثرتُ أهلَ الكوفة بابن أمّ عبد على نفسي إنه من أطولنا فَوْقَاً، كنيف مُليء عِلماً[(٢)]. ولما قدم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ الكوفة قال له أهل الكوفة: «ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً، ولا أرفق تعليماً ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعاً من ابن مسعود، فقال علي: نشدتكم الله، إنه لصِدْقٌ من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال: اللّهم إني

---

(١) مسند الإمام أحمد، ٧/١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٩/٦، قال في القاموس ص١١٨٧ (فاق أصحابه فوقاً وفواقاً: علاهم بالشرف) والكنيف تصغير للكِنف وهو الوعاء.

أشهدك، اللَّهم إني أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل»[1]. وقال ابن مسعود عن نفسه: «والذي لا إلٰه غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته»[2]. توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ٣٢هـ.

ومن أشهر تلاميذه مسروق بن الأجدع، وعلقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد النخعي، وقتادة بن دعامة السدوسي، وأبو عبدالرحمٰن السلمي وعمرو بن شرحبيل والشعبي وغيرهم.

٢ ـ مدرسة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في مكة:

وابن عباس هو ابن عم الرسول ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وأمّه لُبابة الكبرى بنت الحارث وخالته ميمونة بنت الحارث زوجة الرسول ﷺ وأمّ المؤمنين، قال عنه ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «نِعمَ ترجمان القرآن ابن عباس»[3]. وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «ابن عباس أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد»[4]. دعا له الرسول ﷺ فقال: **«اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**[5]، وقيل لطاووس لزمت هذا الغلام ـ يعني: ابن عباس ـ وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ قال: إني رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تدارءوا في أمرٍ صاروا إلى قول ابن عباس[6] وتوفي رضي الله عنه سنة ٦٨هـ.

ولمكانة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في التفسير ومنزلته الكبيرة فقد

---

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد ١٥٦/٣.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص٩٦، وانظر: تفسير الطبري ٨٠/١.

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣٤٧/٣، والطبقات الكبرى، لابن سعد ٣٦٦/٢، والإصابة: لابن حجر ٣٣٢/٢.

(٤) الإصابة: لابن حجر ٣٣٢/٢.

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٦٦/١، وصححه الألباني في شرح الطحاوية ص٢٣٤.

(٦) الإصابة: لابن حجر ٣٣٣/٢.

كثر الوضع عليه في هذا الباب. وهذه المدرسة أوثق مدارس التفسير، وأكثرها استشهاداً بالشعر.

ومن أشهر تلاميذ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وطاووس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وجابر بن زيد.

٣ ـ مدرسة أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ في المدينة:

وهو من الخزرج من الأنصار شهد العقبة، وبدراً، وأول من كتب للرسول ﷺ بعد قدومه للمدينة، وكان سَيّد القُراء، وأحد كُتّاب الوحي، قال عنه الرسول ﷺ: «**أقرؤهم لكتاب الله أبيُ بن كعب**»[1].

وروى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال: وسماني لك؟ قال: **نعم**؛ فبكى[2]، وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يسميه (سيد المسلمين).

وروى عنه أبو العالية الرياحي نسخة كبيرة في التفسير أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيراً، وأخرج منها الحاكم في المستدرك والإمام أحمد في مسنده[3].

وتوفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ٣٠هـ ومن أشهر تلاميذه: أبو العالية الرياحي، وزيد بن أسلم، ومحمد بن كعب القرظي، وابنه الطفيل بن أبي بن كعب، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن يسار، والزهري.

وهناك أيضاً مدارس أخرى كمدرسة البصرة ودرس فيها صحابيان جليلان هما أبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ، وقد

---

(١) رواه الترمذي ٦٦٥/٥. وابن ماجه ٦٨/١.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٣٠/٣.

(٣) التفسير والمفسرون: للذهبي ٩٣/١.

أخذ عنهما الحسن البصري، وأيوب السختياني وغيرهما[1].

حكم تفسير الصحابي:

ينقسم تفسير الصحابي إلى أربعة أقسام:

الأول: ما لا مجال للرأي فيه، ويشمل:

أ ـ الأمور الغيبية كأشراط الساعة والبعث وصفة الجنة والنار.

ب ـ أسباب النزول.

جـ ـ أحوال من نزل فيهم القرآن وعاداتهم وتقاليدهم كمعرفة البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك من أحوال العرب حين نزول القرآن الكريم مما لا يعرفه غيرهم.

د ـ ما أجمعوا عليه.

فتفسير الصحابي في هذه الأمور الأربعة له حكم الرفع ويجب الأخذ به.

وعليه يحمل قول الحاكم ـ رحمه الله تعالى ـ: «فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند»[2].

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه الحاكم عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت اليهود تقول من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[3]. قال الحاكم: هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها وليست بموقوفة[4].

---

(١) تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين ٤٦/١، وتفسير التابعين: د.محمد بن عبدالله الخضيري، ٨٧/١ ـ ٩٠.

(٢) معرفة علوم الحديث: للحاكم النيسابوري ص٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٤) معرفة علوم الحديث: للحاكم النيسابوري ص٢٠، والحديث عن جابر رواه البخاري بلفظ آخر ح٤٥٢٨، ص٧٦٩.

الثاني: ما يرجع فيه إلى اللغة:

وهذا يجب قبوله وله حكم الموقوف، لأنهم أهل اللغة وأربابها وأعلم الناس بها وبمقاصدها ومعانيها وقد سبق ذكر أمثلة لذلك[١].

الثالث: ما يرجع إلى اجتهادهم:

فإن أجمعوا على تفسير وجب قبوله وله حكم الرفع كما ورد في القسم الأول.

وإن اختلفوا فيرجح بين أقوالهم ولا يرجح قول خارج عن أقوالهم وله حكم الموقوف، وأوجب بعض العلماء الأخذ بموقوف الصحابي لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها وليست لغيرهم[٢].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم»[٣].

وقال الزركشي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو يعد أمهات مآخذ التفسير: «الثاني: الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ كما قال الحاكم في تفسيره»[٤].

وقال في موضع آخر: «ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه»[٥].

---

(١) انظر: ص٢٨.
(٢) لمزيد بيان انظر كتابي (قول الصحابي في التفسير الأندلسي).
(٣) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص٩٥.
(٤) البرهان: للزركشي ١٥٧/٢.
(٥) المرجع السابق: ١٧٢/٢.

الرابع: ما كان من الإسرائيليات:

فهذا القسم له حكم الإسرائيليات[(1)]، إن وافق شريعتنا قبل، وإن خالفها رد ورفض وإن لم يوافقها ولا يخالفها فحكمه التوقف فيه.

لكن ينبغي أن يعلم أن الصحابي لا يمكن أن يذكر ما يخالف شريعتنا من أخبار بني إسرائيل إلا أن يكون لبيان تحريفهم وضلالهم، فهم أعلم وأتقى من أن يغتروا بالإسرائيليات.

والخلاصة في حكم تفسير الصحابي:

أنه يجب قبوله فإن كان فيما لا مجال للرأي فيه فله حكم الرفع وإن كان غير ذلك فله حكم الموقوف إلا أن يكون بينهم اختلاف في التفسير فيرجح بين أقوالهم أو أن يكون من الإسرائيليات ولم يوافق الشريعة فيرد أو يتوقف فيه، والله أعلم.

المرحلة الثالثة: التفسير في عهد التابعين:

لم يكن ثَمَّ فارق كبير بين منهج الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومنهج التابعين ـ رحمهم الله تعالى ـ فقد تلقى التابعون تفسيرهم من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كما أسلفنا.

وكان التابعون يَتَحَرَّجُونَ من التفسير كما تَحَرَّجَ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ. فهذا سعيد بن المُسَيِّب ـ رحمه الله تعالى ـ كان إذا سئل عن تفسير آية سكت كأن لم يسمع[(2)]. وهذا الشعبي كان يقول: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله[(3)]. وهذا القول منهم ـ رحمهم الله تعالى ـ محمول على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا عِلْمَ لهم به، فأمّا من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه[(4)].

---

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١٠٠.

(٢) المرجع السابق: لابن تيمية ص١١٢.

(٣) المرجع السابق: ص١١٣.

(٤) المرجع السابق: ص١١٤.

منهج التابعين في التفسير:

يشترك التابعون رحمهم الله تعالى مع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في أهم أسس التفسير، إلا أنهم نظراً لاتساع الفتوحات الإسلامية جَدّت عندهم أُسُسٌ أخرى، فمنهج التابعين رحمهم الله تعالى يقوم على:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن كما مر في منهج الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

٢ ـ تفسير القرآن بالسنة النبوية كما مر ـ أيضاً ـ في منهج الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

٣ ـ تفسير القرآن بأقول الصحابة فإنّ التابعين رحمهم الله تعالى كانوا يرجعون إلى تفسير الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ويُقدمونه على أقوالهم وهم الذي تلقوا التفسير عن الصحابة وعرضوه عليهم كما قال مجاهد بن جبر: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كُلّ آية منه وأسأله عنها»[١].

٤ ـ الفهم والاجتهاد فإنْ لَمْ يجد التابعون التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة اجتهدوا، فهم أهلٌ للاجتهاد وهم الذين يعلمون لغة العرب ومناحيهم في القول، وقد تلقوا التفسير عن الصحابة وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم فحق لهم أن يجتهدوا بعد ذلك.

٥ ـ أقوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى:

وذلك أنّ القرآن الكريم يذكر قصص الأنبياء السابقين والأمم الماضية ذكراً موجزاً ولم يتعرض لتفاصيل هذه الأحداث والقصص، والنفوسُ تميلُ إلى الاستيفاء والاستقصاء، فلما اتسعت الفتوحات الإسلامية ودخل في الإسلام أمم من أهل الكتاب الذين يعرفون تفاصيل هذه القصص من التوراة والإنجيل صاروا يروون هذا للناس، وصار الناس يُقبلون على سماعها حُبّاً

(١) المرجع السابق: ص١٠٢.

لسماع تفاصيل القصص والأخبار القرآنية فدخل في التفسير طائفة من هذه الأخبار التي تعرف بالإسرائيليات.

وأكثر من رويت عنه الإسرائيليات عبدالله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبدالملك بن جريج.

مزايا تفسير التابعين رحمهم الله تعالى:

ويتميز تفسير التابعين رحمهم الله تعالى بمزايا عديدة منها:

١ ـ دخول الإسرائيليات في التفسير.

٢ ـ لاتساع الفتوحات الإسلامية ودخول كثير من العجم في الإسلام زادت الحاجة إلى تفسير كثير من الآيات التي لم يتناولها الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لظهور معناها عندهم، فزاد التابعون تفسير ما احتاج الناس إلى تفسيره، فأتموا التفسير وشمل القرآن كله.

٣ ـ ظل التفسير في هذا العهد محتفظاً بطابع التَلَقي والرواية، وإن كانت هذه الرواية ذات صبغة خاصة، ذلك أن أهل كل مصر يعنون بشكل خاص بالتلقي والرواية عن إمام مِصرهم فالمكّيّون عن ابن عباس والمدنيون عن أبي بن كعب والعراقيون عن ابن مسعود[1].

٤ ـ كثرة الخلافات التفسيرية وزيادتها عما كانت عليه في عهد الصحابة فهم قد تناولوا ما اشتمل عليه تفسيرهم وأضافوا إليه آراءهم حسب اجتهادهم ومن ثَمّ زادت الأقوال والتفسيرات في الآية الواحدة.

٥ ـ ظهرت نواة الخلاف المذهبي فظهرت بعض الآراء التي تحمل في طياتها بذور هذه المذاهب.

٦ ـ كان التفسير في ذلك العهد مروياً بإسناد كل قول إلى صاحبه ونسبته إليه حتى تُعرف الأقوال ويُمَيّز بين قويها وضعيفها، وصحيحها وسقيمها.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون: للذهبي ١/١٣١.

أشهر المفسرين من التابعين:

وممن اشتهر بالتفسير من التابعين:

مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة، والحسن البصري، وزيد بن أسلم، وقتادة بن دعامة السدوسي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية الرياحي، وعامر الشعبي، وغيرهم.

حكم تفسير التابعي:

اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعي للآية إذا لم يَرد تفسيرٌ لها عن الرسول ﷺ ولا عن أحد أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ:

فقالت طائفة منهم ابن عقيل ورواية عن الإمام أحمد وشعبة أنه لا يجب الأخذُ بتفسير التابعي لأنهم:

١ ـ ليس لهم سماع من الرسول ﷺ فلا يُمكن أنْ يُحمل تفسيرهم على أنهم سمعوه من الرسول ﷺ كالصحابة.

٢ ـ أنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نَزَلَ عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد وظن ما ليس بدليل دليلاً.

٣ ـ أن عدالة التابعين غير منصوص عليها كما نُصّ على عدالة الصحابي، كما نقل عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنّه قال: ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن أصحابه فلا أتركه، وما جاء عن التابعين فهم رجال اجتهدوا ونحن رجال نجتهد[١].

٤ ـ ما قاله شعبة: «أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير»[٢].

وقالت طائفة: وهم أكثر المفسرين ورواية أخرى عن الإمام أحمد

---

(١) فواتح الرحموت بشرح مُسلم الثبوت: لابن عبد الشكور ١٨٨/٢.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ص١٠٤.

رحمه الله تعالى: أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير إذا لم نجد تفسيرها في السنة ولا في أقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وحضروا مجالسهم ونَهَلوا من علمهم وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم، فقد عرض مُجاهد المصحف على ابن عباس ثلاث مرات يسأله عن كل آية ـ كما مَرّ ـ وقتادة بن دعامة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً[١]. وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها[٢].

والرأي الراجح:

هو التفصيل:

١ ـ فإن كان مما لا مجال للرأي فيه ـ كما مر ـ كتفسير مجاهد لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٣]، قال: إقعاده على العرش[٤]، فهذا تفسير غيبي لا يمكن معرفته بالاجتهاد فلا يقبل بل هو من قبيل المراسيل وهي لا تقبل في مثل هذا الانفراد[٥].

٢ ـ إن أجمعوا على تفسير واحد وجب الأخذ به لأن الإجماع حجة.

٣ ـ إن اختلفوا فلا يكون قولهم حجة على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى الترجيح بين الأقوال.

٤ ـ إن كان من الأخبار الإسرائيلية فحكمه حكم الإسرائيليات.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فإن أجمعوا على تفسير واحد

(١) طبقات المفسرين: الداودي ٤٣/٢.
(٢) مقدمة في أصول التفسير ابن تيمية، ص١١٣.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.
(٤) تفسير الطبري ١٤٥/١٥، وروى الطبري ما ورد عن الرسول ﷺ من أن المقام المحمود هو الشفاعة.
(٥) فصول في أصول التفسير: د.مساعد الطيار ص٣٩.

وجب الأخذ به ولا يرتاب في كونه حجة، وإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب»[١].

المرحلة الرابعة: التفسير في عهد التدوين:

كان الغالب على المراحل السابقة أن التفسير كان بالرواية والتلقين، وإن كان هناك تدوين فهو تدوين قليل تطغى عليه الرواية وتستأثر بالصبغة العامة.

ونستطيع القول أن التدوين بدأ في النصف الثاني من القرن الهجري الأول حيث ظهرت مدونات شخصية لأفراد من التابعين دونوا ما تلقوه عن أئمتهم من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين فقد كتب مجاهد بن جبر تفسيره عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ (ت٦٨هـ)[٢]، وجمع سعيد بن جبير رحمه الله تعالى لعبدالملك بن مروان (ت٨٦هـ) صحيفة في التفسير[٣]، وجمع أبو العالية الرياحي (ت٩٠هـ) نسخة في التفسير عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه[٤] ـ، وكتب عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة تفسيراً للقرآن عن الحسن البصري رحمه الله تعالى (ت١١٦هـ)[٥]، وكان عند زيد بن أسلم (ت١٣٦هـ) كتاباً في التفسير[٦]، وألف إسماعيل بن عبدالرحمٰن السدي (ت١٢٧هـ) تفسيراً للقرآن[٧] وغير ذلك كثير.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١٠٥.

(٢) انظر مجموع الفتاوى: لابن تيمية ٣٦٩/١٣، وتفسير الطبري ٩٠/١، وتفسير ابن كثير ٣/١.

(٣) تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني ١٩٨/٧ ـ ١٩٩.

(٤) التفسير والمفسرون: د.محمد حسين الذهبي، ١١٥/١.

(٥) وفيات الأعيان: لابن خلكان ١٣٢/٣، وتاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان ٢٥٧/١.

(٦) تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي، ١٣٣/١.

(٧) انظر الإتقان: السيوطي ١٨٨/٢، وتفسير الطبري، تحقيق: شاكر ١٥٦/١ ـ ١٦٠، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٣١٥/١.

ومع هذا فقد نص ابن تيمية[1]، وابن خلكان[2]، رحمهما الله تعالى على أن أول من صنف في التفسير عبدالملك بن جريج (ت١٥٠هـ) والصواب في ذلك يحتاج إلى تحقيق.

ولعل الغالب على هذه المؤلفات التفسيرية هو الالتزام بالمأثور والإسناد.

ثم توسعت العلوم والمعارف ومنها علم التفسير فظهرت تفاسير شاملة للقرآن الكريم وأشهر من دونه على هذا النحو يحيى بن سلام البصري (ت٢٠٠هـ)[3]، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري[4] (ت٣١٨هـ)، وابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)[5].

وأشهر هذه المؤلفات وأوفاها وأوسعها وأتقنها تفسير ابن جرير الطبري (ت٣٢٤هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وقد وصل إلينا تفسيره كاملاً.

ثم تتابعت المؤلفات في التفسير وتنوعت ألوانها وتعددت مشاربها واختلفت مذاهبها إلى يومنا هذا، فبعد أن كان التفسير يعتمد على النقل عن الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين رأيناه في تلك المرحلة يعتمد على التفسير بالرأي وذلك نتيجة لنشأة كثير من الفرق والملل والمذاهب في الإسلام فأصبح أصحابُ كل مذهب يتجهون إلى آيات القرآن ويفسرونها حسب ما يوافق مذاهبهم ومعتقداتهم، كما اعتنى أرباب العلوم بما يوافق علومهم فكان كل مَنْ بَرَعَ في علم من العلوم غلب ذلك على تفسيره، فالفقيه يكاد يسرد

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢٢/٢٠.

(٢) وفيات الأعيان: لابن خلكان ٣٣٨/٢.

(٣) طبع في مجلدين بتحقيق: د.هند شلبي، كما قام بتحقيقه ثلاثة من الباحثين في رسائل علمية، والموجود من التفسير فيه سقط نحو الثلث في مواضع مختلفة، ولهذا التفسير ثلاثة مختصرات (تفسير هود بن محكم) و(تفسير أبي المطرف) و(تفسير ابن أبي زمنين).

(٤) طبع في مجلدين بتحقيق: د.سعد بن محمد السعد والموجود منه إلى سورة النساء.

(٥) طبع في عشرة مجلدات وأكثر من طبعة.

فيه الفقه وربما استطرد إلى إقامة أدلّة الفروع والرد على المخالفين، كالجصاص والإخباري استطرد في ذكر القصص والإسرائيليات كالثعلبي. والنحوي توسع في الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه كالزجاج والواحدي وأبي حيان.. وصاحب العلوم العقلية أكثر من أقوال الحُكماء والفلاسفة وشبههم والرد عليهم كالفخر الرازي[1].

وهكذا نرى كُلّ صاحب فن أو مذهب يُفسر القرآن بما يتناسب مع فنه، أو يوافق مشربه، أو يشهد لمذهبه ولو كان بعيداً كُل البعد عن المقصد الذي نَزَلَ من أجله القرآن[2].

أهم المؤلفات في عصر التدوين:

ليس من السهل ذكر المؤلفات في عصر التدوين الذي امتدّ من القرن الأول إلى عصرنا الحاضر، فضلاً عن استقصاء ذلك وإذا كان الأمر كذلك فسنذكر أهم المؤلفات إجمالاً:

فمن أهم المؤلفات في التفسير بالمأثور:

١ ـ جامع البيان في تفسير القرآن: للطبري.

٢ ـ بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي.

٣ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن: للثعلبي.

٤ ـ معالم التنزيل: للبغوي.

٥ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية.

٦ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور: للسيوطي.

٧ ـ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير.

٨ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن: للثعالبي.

---

(١) انظر: الإتقان: للسيوطي ٢/١٩٠.

(٢) انظر: مناهل العرفان: للزرقاني ١/٥٠١.

٩ ـ فتح القدير: للشوكاني.

١٠ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشنقيطي.

ومن أهم المؤلفات في التفسير بالرأي:

١ ـ الكشاف: للزمخشري.

٢ ـ مفاتيح الغيب: للرازي.

٣ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي.

٤ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن.

٥ ـ البحر المحيط: لأبي حيان.

٦ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي.

٧ ـ تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي.

٨ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي.

٩ ـ تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا.

١٠ ـ في ظلال القرآن: لسيد قطب.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

الإجماع في التفسير

من آيات القرآن الكريم ما يختلف المفسرون في معناها وتتعدد الأقوال فيها حتى تتجاوز العشرة أقوال أو أكثر ومنها ما تقل الأقوال فيها إلى قولين أو ثلاثة ومنها ما لا يختلف فيه اثنان بل هو قول واحد عند جميع المفسرين وهو ما نسميه بالإجماع.

ولهذا النوع أهمية ولمعرفته مزية وله أثر كبير وحكم عديدة وقد يدعي بعض المفسرين الإجماع في تفسير آية والحق أن في تفسيرها خلافاً كثيراً.

فكان لزاماً على الباحثين معرفة الآيات المجمع على تفسيرها ومتى يكون الإجماع متحققاً فيها ومعرفة مراد المفسر في ادعاء الإجماع فقد يكون ادعاؤه خطأ يغتفر له وقد يكون صاحب هوى أو بدعة أو إلحاد أو مذهب باطل أو نحلة منحرفة.

تعريف الإجماع:

لغةً: الإجماع في اللغة يطلق ويراد به أحد معنيين:

١ - العزم على الشيء كما قال تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٥] أي: عزموا على فعل ذلك.

٢ - اتفاق الجميع على شيء فيقال: أجمع العلماء على تحريم الخمر وأجمعوا على تحريم الزنا ونحو ذلك.

ومنه قول الرسول ﷺ: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»[1].

والإجماع في اصطلاح الأصوليين:

اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاة الرسول ﷺ في عصر من العصور على أي أمر كان[2].

والمراد بإجماع المفسرين:

اتفاق أهل التفسير على معنى للآية لا يخالفهم فيه أحد من أئمة التفسير المعتبرين.

عناية العلماء به:

اعتنى المفسرون بذكر الإجماع كثيراً وممن اعتنى بذكره:

الإمام الطبري وابن عطية والقرطبي والواحدي في البسيط والماوردي وغيرهم.

وفي العصر الحديث كتب الدكتور محمد بن عبدالعزيز الخضيري رسالته للماجستير وعنوانها «الإجماع في التفسير»[3].

مكانة الإجماع ومرتبته:

يأتي الإجماع في مرتبة تلي الكتاب والسنة مباشرة وقد نص العلماء على حجيته.

قال القاضي أبو يعلى الحنبلي ـ رحمه الله تعالى ـ: «الإجماع حجة مقطوع عليها، يجب المصير إليها، وتحرم مخالفته، ولا يجوز أن تجتمع

---

(١) رواه الترمذي ٤/٤٦٦ والحاكم في مستدركه ١/١١٥ ـ ١١٦.

(٢) جمع الجوامع: ابن السبكي ١/١٧٦.

(٣) وهي مطبوعة في مجلد واحد الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ دار الوطن، وقد اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث وهي من الرسائل العلمية المؤصلة المحررة جزى الله صاحبها كل خير.

الأمة على الخطأ»[1].

وقال ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ: «يكفر من خالفه إذا قامت عليه الحجة أنه إجماع»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]. قال ابن حزم: «ومن خالفه ـ أي الإجماع ـ بعد علمه به أو قيام الحجة عليه بذلك فقد استحق الوعيد المذكور في الآية»[3].

أقسام الإجماع:

وهو نوعان:

١ ـ الإجماع الصريح:

والمراد به: إجماع كل مجتهدي الأمة في عصر من العصور على حكم شرعي بأن يبدي كل واحد منهم رأيه صراحة.

فهذا حجة قاطعة بلا نزاع[4] ولكنه قليل جداً بل نادر.

٢ ـ الإجماع السكوتي:

وهو أن يعمل بعض المجتهدين عملاً أو يبدي رأياً في مسألة اجتهادية شرعية ويسكت بقية المجتهدين بعد علمهم[5].

وأغلب الإجماع من هذا النوع عدا المسائل المعلومة من الدين بالضرورة.

---

(١) العدة: أبو يعلى الحنبلي ١٠٥٨/٤.
(٢) مراتب الإجماع: ابن حزم ص٧.
(٣) النبذ في أصول الفقه: ابن حزم ص٣٨.
(٤) انظر: الإجماع في التفسير، د.محمد الخضيري ص٥١.
(٥) انظر: الإجماع في التفسير، د.محمد الخضيري ص٥١.

وينبغي أن نذكر أمرين:

الأول: أن الإجماع الصريح الذي يذكره الأصوليون بشروطه المعروفة في كتب الأصول نادر الوقوع.

الثاني: أن قصر الإجماع على الإجماع الصريح يفضي إلى عدم الانتفاع بأصله ويفتح الباب لضعاف الإيمان والمشككين بالدين في العصر الحديث بادعاء أن هذه المسألة خلافية ليس فيها إجماع بدعوى أن الإجماع هو الإجماع الصريح بزعمهم ويتخذون عدم ثبوت هذا الإجماع ذريعة لمخالفة المعتبر عند علماء الأمة[١].

من فوائد ذكر الإجماع:

أولاً: أن ثبوت الإجماع يقطع الحجة على المخالفين وأصحاب الأهواء والبدع، قال ابن حزم: «مال أهل العلم إلى معرفة الإجماع ليعظموا خلاف من خالفه وليزجروه عن خلافه»[٢].

ثانياً: أن الدليل قد يكون ظنياً والإجماع يرفع مرتبته إلى القطعي.

ثالثاً: أنه قد يخفي الدليل في بعض المسائل والإجماع فيها يغني عن ذكر الدليل للعلم أن الإجماع مستند إليه ومبني عليه ونقل الإجماع يغني عن نقل دليله[٣].

رابعاً: أن الدليل قد يحتمل التأويل والتخصيص والتقييد والنسخ وغير ذلك وبالإجماع يرتفع الاحتمال.

خامساً: أنه قد يقع خلاف في ثبوت حديث أو صحته والإجماع يرفع النزاع في ذلك.

---

(١) انظر: نظرة الإجماع الأصولي: وعمر الأشقر ص٩١، والإجماع في التفسير ص٥٦.

(٢) الإحكام: ابن حزم ٥٠٦/١.

(٣) البحر المحيط: الزركشي ٤٥٤/٤، وشرح الكوكب المنير، ٢٦٠/٢.

دواعي ذكر المفسرين للإجماع في تفاسيرهم:

يذكر المفسرون الإجماع ويحتجون به لأمور منها:

١ ـ وجود الاشتراك في المعنى وتحرير محل النزاع:

كالاشتراك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[1] فلفظ (البلوغ) لفظ مشترك يطلق في اللغة على المقاربة وعلى الانتهاء، وقد أجمع العلماء على أن المراد بالبلوغ هنا: (المقاربة على الانتهاء) وليس (الانتهاء) لأن انتهاء أجل المطلقة وانقضاء عدتها يعني أنه لا يد لزوجها عليها في إمساكها أو تسريحها فقد قضي الأمر، بخلاف البلوغ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2] فإن معنى البلوغ هنا: الانتهاء.

٢ ـ تحرير محل النزاع:

فقد أجمع المفسرون على أن المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾[3] هو التوراة. وهو إجماع لا شك فيه ولا يحتاج لذكره وإنما حملهم على ذكره الاختلاف في المراد بالفرقان بعده حيث اختلف المفسرون فيه على خمسة أقوال.

٣ ـ الرد على المخالف من أهل البدع والأهواء:

وذلك لقطع احتجاجهم الباطل وبيان مخالفتهم لإجماع السلف.

ومن ذلك ما زعمه مفسرو الشيعة أن المراد بالأتقى في قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾[4] هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فذكر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الليل، الآية: ١٧.

المفسرون إجماع السلف على أن المراد هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه لبيان مخالفة تفسيرهم لاعتقاد السلف.

٤ ـ دفع توهم معنى فاسد:

فقد قال الرازي في معنى السجود في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[١]. أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجود عبادة[٢] وإنما قال ذلك لدفع توهم العبادة.

٥ ـ مخالفة تفسير الآية للظاهر أو الغالب في الاستعمال:

كتفسير الركوع في قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾[٣] بأنه السجود ولأن الغالب في معنى الركوع غير السجود ذكروا الإجماع على أن المراد به هنا السجود لا الركوع المعروف.

أمثلة من إجماعات المفسرين:

١ ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[٤] روى ابن أبي حاتم عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «**المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى**»[٥].

قال ابن أبي حاتم: «ولا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً»[٦]. وقال الماوردي: «وهو قول جميع المفسرين»[٧] وذكر الإجماع

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٢) تفسير الرازي ٢/٢٣٠.
(٣) سورة ص، الآية: ٢٤.
(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٥) رواه الإمام أحمد ٤/٣٧٨، والترمذي ٥/٢٠٢.
(٦) تفسير ابن أبي حاتم ١/٢٣ ـ ٢٤.
(٧) النكت والعيون: الماوردي ١/٦١.

هنا السمرقندي والشوكاني وصديق حسن خان[1].

٢ - وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝١٤﴾[2] قال ابن عطية: «والغرور: الشيطان بإجماع من المتأولين»[3]. وممن ذكر الإجماع الإمام الطبري وأبو حيان[4].

٣ - وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١﴾[5] قال الواحدي: «يعني القيامة في قول جميع المفسرين[6] وحكى الإجماع الشوكاني والرازي[7].

٤ - وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾[8] قال القرطبي: وحكى أبو الليث السمرقندي: أجمع المفسرون على أن معنى ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾: أقسم، واختلفوا في تفسير ﴿لَآ﴾[9] وقال الواحدي: «وهو قول الجميع[10] ونقل الإجماع الشوكاني والزجاج وابن الجوزي[11].

٥ - وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥﴾[12] قال الواحدي: ﴿وَنَمَارِقُ﴾ يعني: الوسائد في قول الجميع[13] وحكى الإجماع الرازي والطبري[14].

---

(١) تفسير السمرقندي ٨٣/١، فتح القدير ٢٥/١، وفتح البيان ٤٥/١.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٤.
(٣) المحرر الوجيز ابن عطية ٣٠٦/١٤.
(٤) تفسير الطبري ٨٠/١١، والبحر المحيط ٢٢١/٨.
(٥) سورة الحاقة، الآية: ١.
(٦) الوسيط ٣٤٣/٤.
(٧) فتح القدير ٢٧٩/٥، وتفسير الرازي ١٠٢/٣٠.
(٨) سورة القيامة، الآية: ١.
(٩) تفسير القرطبي ٩٢/١٩، وتفسير السمرقندي ٤٢٥/٢.
(١٠) الوسيط ٣٩٠/٤.
(١١) فتح القدير ٣٣٥/٥، ومعاني القرآن: الزجاج ٢٥١/٥، وزاد المسير ١٥/٨.
(١٢) سورة الغاشية، الآية: ١٥.
(١٣) الوسيط ٤٧٥/٤.
(١٤) تفسير الرازي ١٥٥٦/٣١، تفسير الطبري ٥٥٥/١٢.

اختلاف المفسرين وأسبابه

كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يفهمون القرآن الكريم بمقتضى السليقة واللسان العربي، وإذا أشكل عليهم معنى سألوا الرسول ﷺ فبَيَنه لهم، وكانوا ـ رضي الله عنهم ـ يجتهدون في استنباط معاني ودلالات بعض الآيات القرآنية ويتفاوتون في ذلك نتيجة تفاوتهم في معرفة أسباب النزول وما أحاط بالآيات من أحداث ومُلابسات فضلاً عن تفاوت القُدرات العقلية شأنهم شأن البشر، ولذا فقد كان يقعُ بينهم اختلاف في التفسير إلا أن هذا **الاختلاف كان قليلاً جداً بين الصحابة لأمور منها:**

١ ـ وجود الرسول ﷺ بينهم ورجوعهم إليه إذا وُجِدَ بينهم خلاف، فقد كان يجلوه لهم حتى لا يبقى له أثر.

٢ ـ أنّ الرسول ﷺ كان ينهاهم عن كل ما يؤدي إلى الاختلاف في القرآن كما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «أنّ نفراً كانوا جلوساً بباب النبي ﷺ فقال بعضهم: ألَمْ يَقُل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يَقُل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج فكأنما فُقيء في وجهه حبُّ الرُّمَّان فقال: **«أبهذا أمِرتُم؟ أو بهذا بُعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنّما ضلّت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنّكم لستم مما هاهنا في شيء انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، والذي نُهيتم عنه فانتهوا عنه»**[1].

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٩٦/٢ ورجاله ثقات.

٣ ـ سعةُ علم الصحابة الشرعي ومعرفتهم للغة العربية وأساليبها ومعانيها مما يَسّرَ لهم معرفة كثير من الآيات بمقتضى اللسان العربي.

٤ ـ تأثيرُ العَصْر عليهم، فإن للعصر تأثيره على أبنائه ومن المعلوم أن عصر الصحابة هو خير العصور، ولذا قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر»[1].

ولهذا نرى الاختلاف يزداد والرقعة تتسع كلما امتد الزمان.

ومع قلة الاختلاف بين الصحابة في تفسير القرآن الكريم، فإن أغلبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا إلى اختلاف التضاد وهو أيسر أنواع الاختلاف.

أنواع اختلاف التنوع:

ونستطيع أن نُرجع اختلاف السلف في التفسير إلى أنواع معدودة منها:

أولاً: أن يُعبر كُل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المُسَمّى غير المعنى الآخر مع اتحاد المُسَمّى.

ومثال ذلك تفسير «الصراط المستقيم» فقد قال بعضهم: هو القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: هو السنة والجماعة، وقيل: العبودية، وقيل: طاعة الله ورسوله، فهذه الأقوال كلها تدل على ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها[2].

الثاني: أنّ يذكر كلُ مفسّر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص٣٧.

(٢) المرجع السابق: ص٤١ ـ ٤٣.

ومثال ذلك: ما نُقل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[1].

فمن المفسرين من قال: السابق الذي يُصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار ومنهم من قال: السابق والمقتصد والظالم قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا، والعادل بالبيع، ومنهم مَنْ قال السابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات، والظالم آكل الربا أو مانع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة ولا يأكل الربا وأمثال هذه الأقاويل[2].

ومن ذلك تفسير ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾[3] فقد ورد عنه:

أ ـ من طريق عطية العوفي: الشاهد محمد والمشهود القيامة.

ب ـ من طريق ابن أبي طلحة: الشاهد والمشهود القيامة.

ج ـ من طريق مجاهد: الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة.

وهذا ظاهر بأن ابن عباس رضي الله عنهما فسر على سبيل التمثيل لذلك الاسم العام لا على سبيل الحصر[4].

ولما فسر سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى ـ الكوثر بأنه الخير الكثير. قيل له: أن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه[5].

---

(١) سورة فاطر، من الآية: ٣٢.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية، ص٤٣ ـ ٤٤.

(٣) سورة البروج، الآية: ٣.

(٤) انظر: مقالات في التفسير: د.مساعد الطيار، ص٢٩.

(٥) تفسير الطبري: ٣٢١/٣٠.

فكل قول من هذه الأقوال إنما يذكر نوعاً مما يتناوله نص الآية لتعريف المستمع وتنبيهه على نظائره ولا يُضاد ما ذكره غيره.

الثالث: ما يكون فيه اللفظ محتملاً للأمرين:

ومثاله: لفظ: «قسورة» فإنه يُراد بها الرامي، ويُراد بها الأسد.

ولفظ: «عسعس» يُراد به إقبال الليل، وإدباره.

الرابع: أن يُعبّروا عن المعنى بألفاظ متقاربة:

ومثاله: أن يفسر أحدهم قوله تعالى: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾[1] بـ (تُحْبَسَ)، ويقول الآخر: (تُرتَهن) ونحو ذلك.

وهذا من اختلاف التنوع وليس من اختلاف التضاد، وهو اختلاف لا ضرر فيه قال الزركشي: «يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم عنده أنّ في ذلك اختلافاً فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر مَعْنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه لأنه أظهر عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يُخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يَؤُل إلى مَعْنى واحد غالباً والمراد الجميع، فليتفطن لذلك، ولا يُفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات كما قيل:

عباراتنا شتى وحسنُك واحدٌ ... وكلٌّ إلى ذاك الجمال يُشيرُ[2]

أسباب الاختلاف:

ولاختلاف السلف في التفسير أسباب كثيرة منها[3]:

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ الأنعام، من الآية: ٧٠.

(٢) البرهان: للزركشي ٢/١٥٩ ـ ١٦٠.

(٣) انظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: وهو تفسير ابن جزي ١/١٥، وللدكتور سعود الفنيسان كتاب هو (اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره) وهو أطروحته للدكتوراه (مطبوع).

أولاً: أنْ يكون في الآية أكثر من قراءة فيفسر كل منهم الآية على حسب قراءة مخصوصة:

مثال ذلك: ما أخرجه ابن جرير الطبري[1] عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾[2].

أنّ معنى ﴿سُكِّرَتْ﴾: سُدّت. ثم أخرج عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: سُكرت بمعنى: أُخِذَت وسُحِرت[3]، ثم أورَدَ قول قتادة[4] من قرأ: ﴿سُكِّرَت﴾ مشددة يعني: سُدَّت، ومن قرأ: ﴿سُكِرَت﴾[5] مخففة فإنه يعني: سحرت.

ومثاله أيضاً: ما أخرجه ابن جرير الطبري[6] عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ . . .﴾[7]، أن القطران الذي تُهْنَأ به الإبل، وروى عن ابن عباس وغيره[8] أنّه النحاس المُذاب فمن قرأ: ﴿قَطِرَان﴾ قال بالتفسير الأول، ومن قرأ: ﴿قَطْرٍ آنٍ﴾[9] قال: بالتفسير الثاني، فالاختلاف يرجع إلى الاختلاف في القراءة.

ومثاله أيضاً: الاختلاف الوارد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٩/١٤.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٠/١٤.

(٤) المرجع السابق: ١٠/١٤.

(٥) قرأ ابن كثير (سُكِرَت) بالتخفيف، وشَدّده الباقون، انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: مكي بن أبي طالب القيسي ٣٠/٢.

(٦) تفسير ابن جرير الطبري ١٦٨/١٣.

(٧) سورة إبراهيم، من الآية: ٥٠.

(٨) تفسير ابن جرير الطبري ١٦٨/١٣.

(٩) قال ابن جرير ١٦٨/١٣، وبهذه القراءة - أعني - بفتح القاف وكسر الظاء وتصيير ذلك كله كلمة واحدة قرأ ذلك جميع قراء الأمصار وبها نقرأ لإجماع الحجة من القراء عليه وقد روي عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ذلك من (قطرٍ آنٍ) بفتح القاف وتسكين الطاء وتنوين الراء وتصيير آنٍ من نعته.

قوله تعالى: ﴿... أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ...﴾[1] هل هو الجماع أو اللمس باليد، فقد روى ابن جرير رحمه الله تعالى عن ابن عباس أنه الجماع[2]. وروى عن غيره أنه اللمس باليد[3]، فمن قرأ: ﴿لامستم﴾ قال: إنه الجماع، ومن قرأ: ﴿لمستم﴾[4] قال: إنه اللمس باليد.

ثانياً: ومن أسباب اختلاف المفسرين الاختلاف في وجوه الإعراب:

ولا شك أنّ للإعراب تأثيره في المعنى فليس بين الفاعل والمفعول به ـ مثلاً ـ إلا الضبط بالشكل.

ومثال الاختلاف في الإعراب، اختلافهم في قوله تعالى: ﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ...﴾[5]. فقد اختلفوا في ﴿والراسخون﴾ فقيل: عطف نَسَق على اسم الله عزَّ وجلَّ، وقيل: هم مرفوعون بالابتداء والخبر في قوله تعالى: ﴿... يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[6].

ثالثاً: وقد يكون سببه الاختلاف في المراد باللفظ لاحتماله أكثر من معنى:

إما بسبب الاشتراك اللغوي، بمعنى أنّ الكلمة بحكم وضعها لغة تُستعمل لمعنيين مختلفين فيُفسرها أحدُ العلماء بأحد المعنيين ويُفسرها آخر بالمعنى الثاني، وكلا التفسيرين جائز وصحيح ما لم يَقُمْ دليل على أحد المعنيين. كلفظ: «قسورة» الذي يُطلق على (الرامي) وعلى (الأسد) ولفظ (عسعس) الذي يُراد به إقبال الليل وإدباره. ولفظ (النكاح) يطلق

---

(١) سورة النساء، من الآية: ٤٣.

(٢) تفسير ابن جرير بتحقيق: أحمد ومحمد شاكر ٣٨٩/٨.

(٣) المرجع السابق: ٣٩٤/٨.

(٤) قرأ حمزة والكسائي (أو لمستم) بغير ألف، وقرأ الباقون (أو لامستم) بألف. انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: لمكي بن أبي طالب ٣٩١/١ ـ ٣٩٢.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ٧.

(٦) المكتفي في الوقف والابتداء: لأبي عمرو الداني ص١٩٧.

على العَقدِ ويطلق على الوطء، ولفظ القَرْء يراد به الحيض ويُراد به الطهر.

وكلفظ الصريم في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾[١] قيل معناه: كالنهار مبيضة لا شيء فيها، وقيل: «كالليل مظلمة لا شيء فيها»[٢].

وكما يقع الاشتراك اللفظي في الأسماء والأفعال كما ذكرنا فإنه يقع في الحروف كحرف (مِنْ) فإنه يأتي لابتداء الغاية كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾[٣]. وللتبعيض كقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٤]. وللسببية كقوله سبحانه: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾[٥]. وللجنس كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿... فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ...﴾[٦].

وكان استعمال القرآن الكريم لهذه الألفاظ المشتركة ونحوها سبباً لاختلاف العلماء في تفسيرها.

وإمّا لكونه متواطئاً في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضمائر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾[٧]، وكأسماء الجنس مثل: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾[٨]. وما أشبه ذلك فمثل هذا قد يجوز أن يُراد به كُلّ المعاني التي قالها السلف وقد لا يجوز ذلك[٩].

---

(١) سورة ن، من الآية: ٢٠.
(٢) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٢/٢٠٩.
(٣) سورة الإسراء، من الآية: ١.
(٤) سورة آل عمران، من الآية: ٩٢.
(٥) سورة نوح، من الآية: ٢٥.
(٦) سورة الحج، من الآية: ٣٠.
(٧) سورة النجم، الآيتان: ٨ ـ ٩.
(٨) سورة الفجر، الآيات: ١ ـ ٣.
(٩) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص٤٩ ـ ٥٠.

رابعاً: ومن أسباب الاختلاف احتمال الإطلاق والتقييد في الآية:

والمُطلق هو: ما دَلّ على الماهية بلا قيد[1]. كالدم في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾[2].

والمُقيد هو: ما دَلّ على الماهية بقيد. كالدم المقيد بالسفح في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾[3].

ومن المعلوم أنه يجب حَمْل المطلق على المُقيّد إذا وُجِدَ دليل يقتضي التقييد، ويقع الخلاف بين السلف في هذا الدليل فتراه طائفة فيحملون المُطلق على المُقيد، ولا تراه أخرى فيُبقُون المُطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده.

ومثال ذلك عتقُ الرقبة في الكفارات، فقد وردت مقيدة في كفارة القتل الخطأ بالرقبة (المؤمنة) قال تعالى: ﴿... وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ...﴾[4]. ووردت مُطلقة في كفارة الظهار قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾[5]. ووردت مطلقة أيضاً في كفارة اليمين قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[6]، فالرقبة في كفارة الظهار واليمين مطلقة تشمل المؤمنة والكافرة، وفي كفارة القتل الخطأ مقيدة بالإيمان، فقالت طائفة بحمل المطلق على المقيد فلا تجزئ عندهم الرقبة الكافرة في الظهار واليمين، بل

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي ٣١/٢.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(٣) سورة الأنعام، من الآية: ١٤٥.

(٤) سورة النساء، من الآية: ٩٢.

(٥) سورة المجادلة، من الآية: ٣.

(٦) سورة المائدة، من الآية: ٨٩.

لا بدّ من رقبة مؤمنة كما هي في كفارة القتل الخطأ.

وقالت طائفة أخرى: لا يُحملُ المُطلق على المُقيد إلا بدليل ولا دليل هنا فيبقى المطلق على إطلاقه فيجوز عتق الرقبة الكافرة في كفّارة الظهار واليمين.

خامساً: ومن أسباب الاختلاف العموم والخصوص:

والعام هو اللفظ الواحد الدال على مُسَمّيين فأكثر في وقت واحد[1].

والخاص هو اللفظ الواحد الدال على مفرد معين.

والعموم والخصوص من أسباب الاختلاف بين المفسرين، فقد يختلفون في عموم لفظ أو خصوصه كاختلافهم في عموم أو خصوص قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ...﴾[2]. فقيل: إن لفظ المشركات عام يشمل الوثنيات والكتابيات. وقيل: خاص بالوثنيات وعلى القول الأول فإن قوله تعالى: ﴿... وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ...﴾[3] مخصص لهذه الآية، وعند الآخرين غير مخصص لأنه لا يشمل الكتابيات أصلاً.

سادساً: ومن أسباب اختلاف المفسرين الحقيقة والمجاز:

والحقيقة هي اللفظ المستعمل فيما وُضع له[4].

والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وُضِعَ له على وجه يصح مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي[5].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: للآمدي ١٩٦/٢.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢٢١.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٥.

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: للشوكاني، ص٢١.

(٥) شرح العقائد النسفية: للتفتازاني ص١٧١.

وقد وقع اختلاف بين العلماء في وقوع المجاز فقالت بوقوعه طائفة وأنكرته أخرى.

ومثاله اختلاف العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣﴾[1]. فقد قال الحسن والكلبي في تفسيرها: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار، وقال سهل بن عبدالله: أضحك المطيعين بالرحمة، وأبكى العاصين بالسخط[2] وهذا التأويل وذاك بالمعنى الحقيقي للضحك والبكاء.

وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر. وهذا تأويل بالمعنى المجازي.

ومنه - أيضاً - فهم ذلك الصحابي للخيط في قوله تعالى: ﴿... حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ...﴾[3]. بمعناه الحقيقي حيث وضع عند رأسه عقالين أحدهما أبيض والآخر أسود حتى بيّن له الرسول ﷺ أن المراد بهما بياض النهار وسواد الليل.

ومنه ما ورد في صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى في وصف امرأة أبي لهب: ﴿... حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾[4]، حيث روى عن مجاهد قوله: «حمالة الحطب: تمشي بالنميمة»[5]. وقال سعيد بن جبير: «حمالة الخطايا والذنوب»[6] وهذان على المعنى المجازي. وفسره بعضهم بالمعنى الحقيقي لحمل الحطب فقيل في النار، وقيل: إنها كانت تحمل الغضى والشوك فتطرحه في الليل على طريق النبي ﷺ، كذا قال ابن زيد والضحاك والربيع بن أنس ومرة الهمداني[7].

---

(١) سورة النجم، الآية: ٤٣.

(٢) فتح القدير: للشوكاني، ١١٦/٥.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ١٨٧.

(٤) سورة المسد، من الآية: ٤.

(٥) صحيح البخاري: ٩٥/٦، وهو قول قتادة والسدي أيضاً (فتح القدير: ٥١٢/٥).

(٦) فتح القدير: الشوكاني، ٥١٢/٥.

(٧) المرجع السابق: نفس الموضع.

سابعاً: ومن أسباب اختلاف المفسرين الإضمار والإظهار:

يختلف المفسرون أحياناً في مرجع الضمير إذا كان الفاعل مضمراً نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[1].

فقيل: هو جبريل عليه السلام وهو قول أمّ المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذرّ وأبي هريرة رضي الله عنهم، وقيل: دنا الربُّ من محمد ﷺ وهو قول ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم[2].

ثامناً: ومن أسباب اختلاف المفسرين النسخ والإحكام:

ومن أمثلة الاختلاف في القول بالنسخ اختلافهم في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ ...﴾[3].

فقد روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه ما يدل على أنها مُحكمة وأنّ المراد أنها نزلت في اشتباه القبلة[4]. وروى ابن عمر رضي الله عنهما ما يدل على أنّها مُحكمة وأنّ المراد بها صلاة التطوع[5]، وعلى كلا القولين فإنها مُحكمة غير منسوخة وهو ـ أيضاً ـ قول سعيد بن المسيب وعطاء والشعبي والنخعي[6].

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٨ ـ ٩.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٤، وانظر: تفسير الطبري ٢٦/٢٧.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ١١٥.

(٤) روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة: القبلة هاهنا فصلوا وخطوا خطاً، وقال بعضهم: هاهنا، فصلوا وخطوا خطاً، فلما أصبحنا أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة، فلما قفلنا من سفرنا سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فسكت، فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ نواسخ القرآن: ابن الجوزي ص١٣٩، والحديث رواه الدارقطني في سننه ٢٧١/١، والبيهقي في سننه ١٠/٢.

(٥) روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مُقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ رواه مسلم ٤٨٦/١.

(٦) نواسخ القرآن: لابن الجوزي ص١٤٠.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها منسوخة، فقد روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما نُسِخ من القرآن ـ فيما ذُكِرَ لنا والله أعلم ـ شأن القِبلَةِ، قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ...﴾[1]. فاستقبل رسول الله ﷺ فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق، ثم صرفه الله إلى البيت العتيق فقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ ...﴾[2]. يعنون بيت المقدس، فنسخها وصُرف إلى البيت العتيق فقال: ﴿... فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ...﴾[3].

تاسعاً: ومن أسباب اختلاف المفسرين في تفسير الآية:

الاختلاف في الرواية عن الرسول ﷺ فقد يبلغ أَحَدَهم حديثُ الرسول ﷺ ولا يبلغ الآخر فيختلف تفسيرُ كلِّ مفسِّر عن الآخر.

ومثاله في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ...﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿... وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ ...﴾[5]، فقد استند علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم إلى هاتين الآيتين في أن المرأة التي تُوفي عنها زوجُها تعتد بأبعد الأجلين.

أما ابن مسعود رضي الله عنه فقد قال: من شاء قاسمته بالله أنَّ هذه الآية أنزلت في سورة النساء القُصرى[6]، نزلت بعد الأربعة الأشهر ثم قال: «أجلُ الحامل أنْ تَضَعَ ما في بطنها»[7].

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١١٥.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٤٢.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ١٤٤.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٤.

(٥) سورة الطلاق، من الآية: ٤.

(٦) هي سورة الطلاق.

(٧) تفسير الطبري: ٩٢/٢٨ ـ ٩٣.

ويشهد لابن مسعود رضي الله عنه حديث سُبيعة الأسلمية فقد تُوفي عنها زوجها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تَنْشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تَعَلّت من نِفاسِها تَجَمّلت للخُطّاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعْكَك فقال لها: ما لي أراكِ مُتجملة؟ لعلك ترجين النكاح، إنك والله ما أنت بناكحٍ، حتى تَمُر عليك أربعة أشهر وعشر، قالت سُبيعة: فَلمّا قال لي ذلك، جمعت عليّ ثيابي حين أمسيتُ فأتيتُ رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك؟ فأفتاني بأنّي قد حَلَلَت حين وضعت حَملي وأمرني بالتزوج إنْ بَدَا لي[1].

وقد رجع عليٌ وابن عباس - رضي الله عنهم - عن قولهما بعد أن بلغهما حديث سُبيعة، فقد روى مسلم في صحيحه أنَ أبا سَلَمَة بن عبدالرحمٰن وابن عباس اجتمعا عند أبي هريرة وهما يذكران أن المرأة تَنفَس بعد وفاة زوجها بليال، فقال ابن عباس: عدتُها آخرُ الأجلين وقال أبو سلمة: قد حَلّت، فجعلا يتنازعان ذلك قال: فقال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي (يعني: أبا سلمة) فبعثوا كُريباً (مولى ابن عباس) إلى أمّ سلمة يسألها عن ذلك فجاءهم فأخبرهم أنّ أم سلمة قالت: إن سُبيعة الأسلمية نَفِسَت بعد وفاة زوجها بليالٍ وأنها ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج[2].

تلكم هي أهم أسباب اختلاف المفسرين وهناك أسباب أخرى غيرُها ويكفينا منها ما ذكرنا والله أعلم.



(١) صحيح مسلم: ١١٢٢/٢.

(٢) المرجع السابق: ص١١٢٣.

أساليب التفسير

يتداول كثير من الباحثين في أصول التفسير ومناهجه بعض المصطلحات الحديثة في علم التفسير ومنها:

١ ـ الاتجاه.

٢ ـ المنهج.

٣ ـ الأسلوب أو الطريقة.

والحقيقة أنّ تلكم الكلمات الثلاث مصطلحات حديثة لا تكاد تجد لها ذاكراً عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل، وحتى أصحابها في العصر الحديث لا تكاد تجدهم يتفقون على معنى واحد لكل منها، ولهذا ترى كثيراً منهم يُعَبّر بهذه الكلمة مرة وبالأخرى مرة عن مدلول واحد، وترى آخرين منهم يذكرون تعريفاً لكل مصطلح منها، ويذكر غيرُهم غيره.

والذي أراه أنّ:

الاتجاه: هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون.

أما **المنهج** فهو السبيل الذي يؤدي إلى هذا الهدف المرسوم.

وأما **الطريقة** فهي الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه.

وأضرب للتوضيح مثلاً: جماعة يريدون السفر إلى مدينة واحدة، فانطلقوا واتجاههم تلكم المدينة، لكنهم سلكوا مناهج مختلفة، منهم من سلك المنهج البري الأول، ومنهم من سلك المنهج الثاني، ومنهم من سافر جوّاً ومنهم من سافر بحراً وغير ذلك، وهذه كلها مناهج لاتجاه واحد.

أما الطريقة فتظهر حيث أن أحد هؤلاء اتجه اتجاهاً مباشراً إلى الهدف، وجعل آخرون سَفرَهم سياحة فلا يمرون باستراحة إلا واستراحوا فيها، ولا يمرون بمدينة أو بقرية إلا وتجولوا فيها، ولا يمرون بروضة أو حديقة إلا وقضوا سحابة يومهم فيها، ولا يمرون بوادٍ أو بجبل إلا وملأوا النظر من تأمله، يفعلون هذا وهم سائرون على المنهج المؤدي إلى الاتجاه المراد لا يخرجون عنه بعيداً.

فإن شئت تطبيقه على التفسير فبيانُ ذلك أنّ الهدف أو (الاتجاه) قد يكون مسائل العقيدة وتقريرها وبسط معالمها والذود عنها وما يتعلق بهذا، ويظهر هذا الهدف على مجموعة من التفاسير، فيكون الاتجاه لهذه التفاسير (الاتجاه العقدي).

ويسلك كلُّ واحد من هؤلاء المفسرين سبيلاً خاصاً لتقرير العقيدة، فيسلك أحدهم أصول عقيدة السلف (أهل السنة والجماعة) فيكون منهجه «منهج أهل السنة والجماعة»، ويسلك آخر أصول عقيدة الشيعة فيكون منهجه «منهج الشيعة»، ويسلك ثالث أصول المعتزلة فيكون منهجه «منهج المعتزلة»، ويسلك رابع أصول الصوفية فيكون منهجه «منهج الصوفية» وهكذا.

وقد تختلف طرق هؤلاء في التفسير، بل قد تختلف طرق أصحاب المنهج الواحد، فيبدأ أحدهم بالنص أولاً، ثم بيان المفردات ثم المعنى الإجمالي للآيات، ثم يستخرج أحكامها ويتتبع الآيات واحدة واحدة حسب ترتيبها في المصحف ويختلف آخر فيذكر النصّ أولاً، ثم يمزج بين المفردات والمعنى الإجمالي للنص، ويختلف ثالث فيجمع الآيات المتفرقة التي تتناول قضية واحدة فيتناولها بالتفسير من غير مراعاة لترتيبها في

المصحف فعنايته بالموضوع لا بالترتيب، وقد يقتصر المفسر على رأيه وقد يورد آراء المفسرين ويقارن بينها، ثم يختار ما يراه الأصح منها، وهذا كله ما نقصده بطريقة المفسر أو أساليب التفسير[1].

ولعل الفرق ـ بعد هذا ـ قد اتضح بين المصطلحات الثلاثة (الاتجاه) (المنهج) (الأسلوب) وإذا كان الأمر كذلك فإن ما يعنينا هنا هو بيان أساليب التفسير.

وللمفسرين في التفسير أساليب أربعة هي:

١ ـ التفسير التحليلي.

٢ ـ التفسير الإجمالي.

٣ ـ التفسير المُقارن.

٤ ـ التفسير الموضوعي.

أولاً: التفسير التحليلي:

هو أن يتتبع المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف ويبيّن ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها، ووجوه البلاغة فيها وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها ونحو ذلك.

ويتميز هذا الأسلوب بمزايا منها:

١ ـ أنه أقدم أساليب التفسير فقد كان التفسير في نشأته الأولى يتناول الآيات المتتابعة ولا يتجاوزها المفسر إلى غيرها حتى يعرف معناها، وبَيّن هذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن[2].

وروى أبو عبدالرحمٰن السلمي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الذين كانوا

---

(١) انظر: كتابي «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» ٢٢/١ ـ ٢٣.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٨٠/١، وقال أحمد شاكر: (هذا إسناد صحيح).

يقرئوننا القرآن أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يُخَلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً[1].

وهي الطريقة التي تلقى التابعون بها التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»[2].

٢ - أنّ هذا الأسلوب هو الغالب على المؤلفات في التفسير وأشهر التفاسير وأهمها قديماً وحديثاً أُلِّفت على هذا الأسلوب كتفسير الطبري، والخازن، والثعلبي، والواحدي، والبغوي، وابن عطية، والشوكاني، وابن كثير، وغيرهم.

٣ - يتفاوت المفسرون في هذا اللون من التفسير بين الإيجاز والإطناب، فمن التفاسير ما جاء في مجلد واحد بما فيه النص القرآني الكريم كله، ومنها ما جاء في أكثر من ثلاثين مجلداً.

٤ - يظهر التباين جَلياً بين المفسرين - في هذا الأسلوب - من حيث الاتجاهات والمناهج، فمنهم من التزم في تفسيره بالتفسير المأثور والنقل عن أئمة السلف والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ومنهم من التزم بمناهج المذاهب الأخرى، ومنهم من أفسح لنفسه فتوسع في التاريخ والقصص والإسرائيليات، ومنهم من اعتنى بالبلاغة ووجوه البيان، ومنهم من توسع كثيراً في آيات الأحكام، ومنهم من اعتنى بالآيات الكونية والتفسير العلمي، ومنهم من استطرد في المسائل النحوية، ومنهم من توسع في علم الكلام والفلسفة ومصطلحات الصوفية... وغير ذلك.

وهذا اللون من التفسير وإن جمع بين مناهج عدّة يُسمى (التفسير التحليلي) الذي يعتمد على وحدة الآية[3].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١/٨٠، وقال أحمد شاكر: (هذا حديث صحيح متصل).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١/٩٠.

(٣) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: د.أحمد الكومي ود.محمد أحمد القاسم ص١٠ - ١٢ (باختصار).

ثانياً: التفسير الإجمالي:

وهو أن يَعْمَدَ المفسر إلى الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف فيبيّن معاني الجمل فيها متتبعاً ما ترمي إليه الجمل من أهداف ويصوغ ذلك بعبارات من ألفاظه ليسهل فهمُها وتتضح مقاصدها للقارئ والمستمع.

وبعبارة أخرى التفسير الإجمالي هو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني سورة سورة إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالاً مبرزاً مقاصدها، موضحاً معانيها، مظهراً مراميها، ويجعل بعض «ألفاظ» الآيات رابطاً بين النص وتفسيره فيُورد بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يَبْعُد في تفسيره عن سياق النص القرآني ولم يُجانب ألفاظه وعباراته ومُشعراً بما انتهى إليه في تفسيره من النص.

والتفسير الإجمالي أشبه ما يكون بـ «الترجمة المعنوية» التي لا يلتزم المترجم فيها بالألفاظ، وإنما يقصد إلى بيان المعنى العام، وقد يضيف إليه ما تدعو الضرورة إليه كسبب نزول، أو قصة، ونحو ذلك.

وأكثر من يستعمل هذا اللون من التفسير المتحدثون في الإذاعة والتلفاز لمناسبته لمدارك عامة الناس وعدم خوضه في مباحث أو مسائل تعلو على أفهامهم ويُستعمل ـ أيضاً ـ كمقدمة توضيحية لبعض تسجيلات التلاوة لإعطاء المستمع فكرة عامة ليسهل عليه فهم ما سيُتلى من النص القرآني الكريم(١).

ومن أمثلة المؤلفات بهذا الأسلوب من التفسير:

١ ـ تفسير كلام المنان: عبدالرحمٰن بن سعدي.

٢ ـ التيسير في أحاديث التفسير: محمد المكي الناصري.

٣ ـ تفسير الأجزاء العشرة الأولى: محمود شلتوت. وغيرها.

---

(١) المرجع السابق: ص١٢ ـ ١٣.

ثالثاً: التفسير المقارن:

وهو الذي يعمد المفسر فيه إلى الآية أو الآيات فيجمع ما حول موضوعها من نصوص سواء كانت نصوصاً قرآنية أخرى، أو نصوصاً نبوية (أحاديث)، أو للصحابة، أو للتابعين، أو للمفسرين، أو الكتب السماوية الأخرى، ثم يُقارن بين هذه النصوص، ويُوازن بين الآراء، ويستعرض الأدلة، ويبيّن الراجح وينقض المرجوح.

وبهذا يظهر أنّ مجال هذا الأسلوب أوسع، وميدانه أفسح وأنّ له وجوهاً متعددة للمقارنة، منها:

١ ـ المقارنة بين نص قرآني ونص قرآني آخر اتفاقاً أو ظاهره الاختلاف ومن هذا النوع علم تأويل مشكل القرآن، والمؤلفات فيه معلومة. وقد تكون المقارنة بين النصين القرآنيين لإبراز معاني لا يُوصل إليها أحد النصين، إذ إن أحدهما مكمل للآخر، فقد تختلف العبارة بين النصين إيجازاً وإطناباً، أو إجمالاً وبياناً، أو عموماً وخصوصاً[1] وغير ذلك، وقد يظهر ذلك جلياً في جانب القصص القرآني حيث أنّ جمع نصوص القصة الواحدة في القرآن يؤدي إلى تكامل القصة وترابط الأحداث.

فضلاً عن أن المفسر يستنبط الأسباب ويكشف عن الأسرار والحكم التي من أجلها كان الاختلاف بين التعبيرين، والمغايرة بين الأسلوبين، بلفظ مرة وبآخر أخرى، وبصيغ مختلفة.

٢ ـ المقارنة بين نص قرآني وحديث نبوي يتفق مع النص القرآني أو ظاهره الاختلاف كذلك، ويبحث العلماء ذلك في المؤلفات في مشكل القرآن ومشكل الحديث أيضاً.

٣ ـ وقد تكون المقارنة بين نصّ قرآني وبين نصّ في التوراة، أو نصّ في الإنجيل لإظهار فضل القرآن، ومزيّته، وهيمنته على الكتب السابقة. وكشف وجوه التحريف والتبديل فيها، فيما وقع فيه اختلاف، وتوضيح

---

(١) انظر الأمثلة على ذلك في مبحث (طرق التفسير) وفي أوجه بيان السنة للكتاب وسبقت الإشارة إلى نحو هذا في أول الحديث عن منهج الصحابة رضي الله عنهم في التفسير.

المعنى القرآني وجلاء بعض معانيه وتكملة المشهد الذي يتناوله النص القرآني فيما وقع الاتفاق فيه بين القرآن والكتب السابقة[١].

والمؤلفات على هذا الأسلوب أيضاً كثيرة وأغلبها حديث مثل: (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) لموريس بوكاي.

وكتاب «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن» للأستاذ إبراهيم خليل وغير ذلك.

٤ ـ وقد تكون المقارنة بين أقوال المفسرين، حيث يستطلع آراء المفسرين في الآية الواحدة مهما اختلفت مشاربهم، وتعددت مذاهبهم، ويذكر أدلة كل قول وحججه، ويناقش الأقوال، وينقد الأدلة، ويرجح ما يراه راجحاً ويُبطل ما يرى بطلانه.

وأحسب أنّ مِنْ أقدم المفسرين الذين سلكوا هذا المسلك هو إمام المفسرين الطبري رحمه الله حيث جرى على ذكر أقوال أهل التأويل في كل آية ثم يذكر أدلة كلّ قول، ويقارن بينها، ويرجح أحدها ويُضَعِّف ما يرى ضعفه.

ومن المؤلفات في هذا الأسلوب من التفسير وهي كثيرة جداً:

١ ـ تفسير الطبري ت(٣١٠هـ).

٢ ـ الكشف والبيان: الثعلبي (ت٤٢٧هـ).

٣ ـ البسيط: للواحدي (ت٤٦٨هـ).

٤ ـ معالم التنزيل: البغوي (ت٥١٦هـ).

٥ ـ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (ت٧٧٤هـ).

رابعاً: التفسير الموضوعي:

وهو أسلوب لا يُفسر فيه صاحبه الآيات القرآنية حسْبَ ترتيب المصحف بل يجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد فيفسرها.

تعريفه:

والتفسير الموضوعي هو: جمعُ الآيات القرآنية التي تتحدث عن قضية

---

(١) المرجع السابق: ص١٥ ـ ١٦ باختصار.

أو موضوع واحد وتفسيرها مجتمعة واستنباط الحكم المشترك منها ومقاصد القرآن فيها.

وقيل: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر[1].

نشأته:

وقد نشأ (التفسير الموضوعي) في عهد مبكر في الإسلام فقد نشأ في عهد النبوة ولا يزال إلى يومنا هذا، إلا أن مصطلح (التفسير الموضوعي) وإطلاقه على هذا الأسلوب من التفسير لم يظهر إلا في القرن الرابع عشر ويظهر (التفسير الموضوعي) عند السلف في صور متعددة منها:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن:

إذ أنّ جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد وتفسير بعضها ببعض هو أعلى درجات التفسير الموضوعي، وأعظمها ثمرة وأكثرها فضلاً.

وكان أسبق الناس إلى ذلك رسول الله ﷺ فقد كان يفسر لأصحابه القرآن بالقرآن والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد روى البخاري[2] أنّ رسول الله ﷺ فَسر مَفَاتِح الغيب في قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ...﴾[3]. فقال: «**مفاتح الغيب خمس**» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾»[4].

وأدرك ذلك الصحابة رضوان الله عليهم فقد كانوا يجمعون الآيات المتشابهة ويفسرون بعضها ببعض فإن أشكل عليهم تفسيرها رجعوا إلى الرسول ﷺ فبيّنه لهم.

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: الدكتور مصطفى مسلم ص١٦.
(٢) صحيح البخاري: كتاب التفسير ١٩٣/٥.
(٣) سورة الأنعام، من الآية: ٥٩.
(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

٢ ـ تفسير آيات الأحكام:

فقد اتجهت طائفة من قدامى المفسرين إلى تتبع آيات الأحكام الفقهية في القرآن الكريم دون غيرها وتفسيرها على هذا النحو. ومن أشهر المؤلفات في ذلك:

١ ـ أحكام القرآن للجصّاص.

٢ ـ أحكام القرآن لابن العربي.

٣ ـ نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لمحمد صديق حسن وغيرها.

ولا شك أنّ هذا لون من ألوان التفسير الموضوعي.

٣ ـ الأشباه والنظائر:

ويقوم المفسر فيه بتتبع كلمة قرآنية واحدة في القرآن وبيان معناها في كل موضع ومن ثم معرفة استعمالات القرآن الكريم لها ودلالاتها المختلفة.

ومن أشهر المؤلفات في هذا:

١ ـ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان.

٢ ـ التصاريف: يحيى بن سلام.

٣ ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادي.

٤ ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ابن الجوزي.

والغالب على هذا اللون من التفسير الجانب اللغوي إذ أنه يعتني بالكلمات التي يتحّدُ لفظها ويختلف معناها حسب استعمالها ولا شك أنّ هذا لون من ألوان التفسير الموضوعي.

٤ ـ الدراسات التفسيرية:

ولم تقتصر جهود العلماء السابقين على الجوانب اللغوية للكلمات القرآنية بل جمعوا الآيات التي تشترك في موضوع واحد أو قضية واحدة كالنسخ، والقسم، والمُشْكِل، والأمثال، وغيرها فجمعوها ثم تناولوها من الجانب المراد.

فجمعوا الآيات الناسخة والآيات المنسوخة، وجمعوا الآيات التي يبدو التعارض بينها ظاهراً، وجمعوا ما ذهب من الآيات مذهب المثل، وجمعوا ما فيه قَسَم من الآيات القرآنية وغير ذلك والمؤلفات على هذا النحو كثيرة منها:

١ ـ الناسخ والمنسوخ: أبو عبيدة القاسم بن سلام.

٢ ـ تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة.

٣ ـ أمثال القرآن: للماوردي.

٤ ـ التبيان في أقسام القرآن: ابن القيم.

٥ ـ مجاز القرآن: العِزّ بن عبدالسلام.

وبهذا يظهر لنا ـ يقيناً ـ أنّ التفسير الموضوعي وإن تأخرت تسميته بهذا الاسم فإنه من علوم السابقين ومن مبتكراتهم.

ولا شك أنّ المؤلفات في التفسير الموضوعي قد كثرت في العصر الحديث وأصبحت المكتبة القرآنية تزخر بالمؤلفات فيه فهو ميدان خصب للباحثين.

ولخدمة الباحثين في هذا الموضوع فقد اتجهت العناية إلى جمع الآيات القرآنية وترتيبها حسب موضوعها ومن أشهر المؤلفات في هذا كتاب المستشرق الفرنسي جول لابوم (تفصيل آيات القرآن الكريم) حيث قسّمها إلى نحو ٣٥٠ موضوعاً. إلا أنه ينبغي أن نشير إلى أنه حتى الآن لم يكتب أحد تفسيراً موضوعياً شاملاً للقرآن الكريم[١].

---

(١) أصدرت جامعة الشارقة كتاب (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم) كتبه نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن الكريم تحت إشراف شيخنا أ.د/مصطفى مسلم في عشرة مجلدات.

أنواع التفسير الموضوعي:

ينقسم التفسير الموضوعي إلى ثلاثة أنواع هي:

الأول: أن يتتبع الباحث كلمة من كلمات القرآن الكريم، ويجمع الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، ثم يقوم بتفسيرها واستنباط دلالاتها واستعمالات القرآن الكريم لها.

وقد اهتمت بهذا الموضوع من التفسير كتب الأشباه والنظائر: إلا أنها وقفت عند حَدّ بيان دلالة الكلمة في موضعها من غير ربط بين مواضع ورودها، واستعمالاتها في كل موضع، فبقي تفسيرهم للكلمة في دائرة (الدلالة اللفظية)[1].

ثم اتسع هذا اللون من التفسير فتتبع المفسرون الكلمة وحاولوا الربط بين دلالاتها في مختلف المواضع وأظهروا بهذه الطريقة معاني جديدة وألواناً من البلاغة ووجوهاً من الإعجاز القرآني، واستنبطوا دلالات قرآنية دقيقة لا تظهر بغير هذا المسلك.

ومن المؤلفات على هذا النوع من التفسير:

١ ـ (كلمة «الحق» في القرآن الكريم) للشيخ محمد بن عبدالرحمٰن الراوي.

٢ ـ المصطلحات الأربعة في القرآن (الإلٰه، الربّ، العبادة، الدين) لأبي الأعلى المودودي.

٣ ـ الأمة في دلالتها العربية والقرآنية للدكتور أحمد حسن فرحات.

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: أ.د/مصطفى مسلم ص٢٢.

النوع الثاني:

جمع الآيات القرآنية التي تتناول قضية واحدة بأساليب مختلفة عرضاً وتحليلاً ومناقشة وتعليقاً، وبيان حُكم القرآن فيها.

والمفسر على هذا النحو يجعل هَمّه الموضوع ذاته وما يؤدي إليه فلا يُشغِل نفسه بذكر القراءات، ووجوه الإعراب، وصور البلاغة، إلا بمقدار صلتها بالموضوع وما تخدم منه.

وهذا النوع هو أشهر أنواع التفسير الموضوعي وأكثرها تأليفاً ودراسة وإذا أطلق مصطلح (التفسير الموضوعي) فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه[1].

والمؤلفات فيه كثيرة متعددة قديماً وحديثاً، بل إنّ الكتب التي تتناول (إعجاز القرآن) أو (الناسخ والمنسوخ) أو (أحكام القرآن) أو (أمثال القرآن) أو (قصص القرآن) أو (جدل القرآن) أو (بلاغة القرآن) أو (القسم في القرآن) أو غير ذلك ما هي إلا من هذا النوع من التفسير.

أما في العصر الحديث فقد أُضيفت إلى هذه العلوم موضوعات اجتماعية واقتصادية، وسياسية، وغير ذلك، ومنها:

١ ـ الصدق في القرآن الكريم: تأليف مذكر محمد عارف.

٢ ـ الصبر في القرآن الكريم: د. يوسف القرضاوي.

٣ ـ دستور الأخلاق في القرآن: د. محمد عبدالله دراز.

٤ ـ الصلاة في القرآن الكريم: فهد بن عبدالرحمٰن الرومي.

٥ ـ المرأة في القرآن الكريم: د. عبدالسلام التونجي.

وموضوعات أخرى كثيرة.

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي: أ. د/مصطفى مسلم ص٢٧.

النوع الثالث:

هو تحديد الموضوع الذي تتناوله سورة قرآنية واحدة ثم دراسة هذا الموضوع من خلال تلك السورة وحدها.

وهذا النوع - كما ترى - قريب من النوع الثاني، إلا أن دائرته أضيق.

ومن المعلوم أنّ لكل سورة من السور القرآنية شخصيتها المستقلة وأنّ لها هدفاً واضحاً ترمي إلى إيضاحه وبيانه، وإدراك هدف السورة يكشف للباحث معاني دقيقة، ومناسبات لطيفة، وصوراً بليغة.

وممن تميز تفسيره بالعناية ببيان مقاصد السور وأهدافها سيد قطب - رحمه الله تعالى - حيث التزم أن يُقدّم لكل سورة مقدمة يبين فيها أهدافها وينطلق في تفسيرها على هذا المحور مما أعطى تفسيره صبغة لا تكاد تجدها فيما سواه.

ومن المؤلفات في هذا النوع من التفسير:

١ - تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام: د. إبراهيم الكيلاني.

٢ - الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف: د. عادل محمد أبو العلا.

٣ - مباحث العقيدة في سورة الزمر: ناصر بن علي الشيخ.

٤ - قضايا العقيدة في ضوء سورة ق: كمال محمد عيسى.

٥ - قضايا المرأة في سورة النساء: د. محمد يوسف.

ويظهر بهذا العرض السريع أنّ التفسير الموضوعي من أهم أساليب التفسير وله مزايا عديدة ليس هذا مجال بيانها.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

مناهج التفسير[1]

كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يفسرون القرآن بالقرآن والسنة، فإن لم يجدوا التفسير فيهما اجتهدوا وهم أهل للاجتهاد والاستنباط.

ولما اتسعت رقعة البلاد الإسلامية أرضاً اتسعت رقعتها أيضاً لساناً فدخلت في الإسلام أمم أعجمية شتى بمختلف الألسنة واللهجات ومختلف المذاهب والعقائد، فدخل فيه بعد المشركين الذين يعبدون الأوثان أمم مجوسية، وأمم يهودية ونصرانية وأهل ملل ونحل أخرى، وكان لهذا أثره.

فتعددت مناهل التفسير ومصادره، وتنوعت طرقه ومناهجه، فَجَدَّت فيه مصادر محدثة، وطرق مبتدعة، ومناهج متعددة.

ونشأت عقائد منحرفة كالشيعة، والمعتزلة، والخوارج، والصوفية وغيرهم وصار لكل فرقة مصادرها ومنهجها في التفسير.

وتنوعت مناهج التفسير وأغراض المفسرين، فمنهم من ظل على مصادره الأصلية، ومنهم من غَلّب تحكيم العقل المجرد في تفسيره، ومنهم من اصطبغ تفسيره بالعلم الذي برز فيه، فالنحوي غلب النحو على تفسيره،

---

(١) للتوسع في هذا الموضوع انظر كتابي: (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) وهو أطروحتي للدكتوراه في ثلاثة مجلدات.

والفقيه غلب الفقه على تفسيره فتوسع في أصوله وفروعه، والمؤرخ غلب على تفسيره سرد القصص واستيفاؤها، والفيلسوف ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشُبههم والردّ عليها.

وتناول كثير من الكتاب والمؤلفين هذه المناهج فألفوا المؤلفات الكثيرة في عرضها، ودراستها، ونقدها، وسنذكر تعريفاً موجزاً لبعض هذه المناهج:

١ ـ منهج التفسير بالمأثور.

٢ ـ منهج التفسير بالرأي (أو المنهج العقلي).

٣ ـ منهج التفسير الفقهي.

٤ ـ منهج التفسير العلمي.

٥ ـ منهج التفسير اللغوي.

٦ ـ منهج التفسير الاجتماعي.

٧ ـ منهج التفسير البياني.

٨ ـ منهج التذوق الأدبي.

أولاً: منهج التفسير بالمأثور:

تعريفه:

هو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول والآثار في الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح.

فضله ومكانته:

والتفسير بالمأثور أفضل أنواع التفسير وأعلاها لأنه:

إما أن يكون تفسيراً للقرآن بكلام الله تعالى فهو أعلم بمراده.

وإما أن يكون تفسيراً له بكلام الرسول ﷺ فهو المبين لكلام الله تعالى.

وإما أن يكون بأقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فهم الذين شاهدوا التنزيل وهم أهل اللسان وتميزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين نزول القرآن الكريم.

ولكن ينبغي أن نتفطن إلى أن التفسير بالمأثور قد دخله الوضع وسرى فيه الدس والخرافات ويرجع ذلك إلى أسباب:

أولها: الوضع:

فقد سرى الوضع في التفسير حين نشأت بعض الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة، فأرادت أن تدعم عقيدتها بالنصوص القرآنية، فلَمَّا لم تطاوعهم النصوص على ما ذهبوا إليه وضعوا الأحاديث في تفسير هذه الآيات على ما يريدون وذلك كالمعتزلة والرافضة وغلاة الصوفية وغيرهم.

كما كان للانتماء السياسي في صدر الإسلام أثره في وضع الأحاديث تقرباً لبعض السلاطين أو كُرهاً لآخرين.

وكان أيضاً لأعداء الإسلام عامة الذين عجزوا عن محاربة الإسلام بالسيف فتظاهروا بالدخول في الإسلام للكيد له ولأهله فوضعوا الأحاديث في التفسير بالمأثور وغيره.

ثانيها: الإسرائيليات:

وذلك أنّ القرآن تناول كثيراً قَصَصَ الأنبياء السابقين والأمم الماضية والحوادث الغابرة، وحين يتناولها القرآن فإنه يبرز منها جانب الموعظة والعبرة ولا يعتني بتفصيل دقائقها.

وفي النفس الإنسانية مَيْلٌ إلى استيفاء القصة واستكمال الصورة، فكان

بعض المسلمين يسأل من دخل في الإسلام من أهل الكتاب عن تفاصيل قصص القرآن وأخباره مما ورد في التوراة والإنجيل ويطلق على هذا اللون من الأخبار «الإسرائيليات»، وهو إطلاق وإن كان يدل على ما ورد عن بني إسرائيل وهم اليهود، إلا أنّ المراد به ما ورد عن اليهود والنصارى أيضاً من باب التغليب وإطلاق الجزء على الكل، وإنما غلب اليهود لوجود طائفة منهم في المدينة في صدر الإسلام وكان الاتصال بهم أقرب.

ومعلوم أنّ التحريف والتغيير والتبديل قد أصاب التوراة والإنجيل، ولهذا فإن الإسرائيليات لا تخلو من ثلاث حالات:

١ ـ أن توافق ما جاء في شريعتنا.

٢ ـ أن تخالفه.

٣ ـ أن لا توافقه ولا تخالفه.

فالنوع الأول: نَعْلَمُ صِدْقَه لموافقته ما جاء في شريعتنا وحكم هذا النوع القبول.

والنوع الثاني: نعلم كذبه لمخالفته ما صح في شريعتنا وهذا النوع مردود لا تجوز روايته إلا على سبيل التحذير منه وردّه.

والنوع الثالث: لا نعلم صدقه ولا كذبه، فلا نصدقه ولا نكذبه، بل نتوقف فيه، وغالب هذا النوع مما لا فائدة في معرفته.

ولهذا ينبغي التثبت فيما روي من التفسير بالمأثور لئلا يكون من الإسرائيليات.

ثالثها: حذف الإسناد:

وذلك أنّ الرواية للتفسير بالمأثور عن الصحابة كانت بالإسناد، فلَمّا وقعت الفتن وكثر الدس صار بعضهم يحذف الإسناد حتى لا تعرف درجته فالتبس الصحيح بالضعيف.

فوجب ـ حينئذٍ ـ التثبت في الرواية ومعرفة السند في التفسير حتى لا يُقْبَلَ الدخيلُ أو يُرَدَّ الأصيلُ.

مصادر[1] التفسير بالمأثور:

وتسمى (طرق التفسير) وهي المصادر التي يَعْتَمِدُ عليها التفسير بالمأثور ويصدر عنها:

أولها: القرآن الكريم:

وهو أصح طرق التفسير ومصادره، قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر»[2].

فعلى من أراد أن يفسر القرآن أن ينظر في آيات القرآن الأخرى ويجمع الآيات ذات الموضوع الواحد، فإن ما أُجْمِلَ في موضع قد يُبَيَّن في آخر، وما أشكل في موضع قد يوضح في موضع آخر وما جاء في آيات مطلقاً قد يقيد في آيات أخرى، وما ورد عاماً قد يدخله التخصيص في آيات أخرى، وما جاء موجزاً في موضع قد يُفَصَّلُ في موضع آخر، وبهذا يكون قد فَسَّرَ القرآن بالقرآن.

أنواع تفسير القرآن بالقرآن:

وتفسير القرآن بالقرآن نوعان:

---

(١) يستعمل لفظ المصدر لمعنيين لغوي واصطلاحي:
المعنى اللغوي: الذي يدل على معنى (الصدور)، أي: عما يصدر عنه التفسير بالمأثور وهو القرآن والسنة وما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم.
والمعنى الاصطلاحي: يطلق على المصنفات التي اعتنت بجمع التفسير بالمأثور حتى صارت مرجعاً يرجع إليها فيه. انظر: أصول التفسير وقواعده: خالد العك ص١١٤ ـ ١١٥.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص٩٣.

١ ـ التفسير المتصل بالآية:

ويراد به: أن يكون تفسير الآية متصلاً بها في نفس الآية أو في الآية التي تليها مباشرة.

ومثاله:

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[١].

قال البيهقي في شرح الأسماء الحسنى قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تفسير للقيوم[٢].

وتفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾[٣]. قال محمد بن كعب القرظي: «تفسيره ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[٤]»[٥].

وتفسير قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾[٦]. قال أبو العالية: «تفسيره ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾[٧]»[٨]. وقال ثعلب: سألني محمد بن طاهر ما الهلع؟ قلت: قد فسره الله تعالى[٩].

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٥٥.
(٢) الأسماء والصفات: للبيهقي ٩٣/١، وانظر الإتقان: للسيوطي ص٦٢٣.
(٣) سورة الإخلاص، الآيتين ١ ـ ٢.
(٤) سورة الإخلاص، الآيتين ٣ ـ ٤.
(٥) البرهان: للزركشي ١١٩/٢، والإتقان: السيوطي ص٦٢٣.
(٦) سورة المعارج، الآية: ١٩.
(٧) سورة المعارج، الآيتين: ٢٠ ـ ٢١.
(٨) البرهان: للزركشي، ١١٩/٢.
(٩) البرهان: للزركشي: ١١٩/٢، وانظر: الإتقان: للسيوطي ص٦٢٣.

٢ ـ التفسير المنفصل:

وهو أن يكون تفسير الآية في آية أخرى لا تليها مباشرة بل قد يكون في سورة أخرى.

ومثاله:

تفسير قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[١]، بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾[٢].

وتفسير الكلمات في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٣]. بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾[٤].

وتفسير قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٥]. بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ . . .﴾[٦] الآية.

وقد ورد نفي (الخُلّة) و(الشفاعة) يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾[٧].

وقد استثنى من الخُلّة خُلّة المتقين في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٢) سورة الانفطار، الآيات: ١٧ ـ ١٩.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٣٧.

(٤) سورة الأعراف، من الآية: ٢٣.

(٥) سورة المائدة، من الآية: ١.

(٦) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾[1]. واستثنى من الشفاعة ما أذن الله به منها ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝٢٦﴾[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿...مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ...﴾[3]. فإنها عامة خصصت بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾[4].

ثانيها: السنة النبوية:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فإن أعياك ذلك ـ يعني: تفسير القرآن بالقرآن ـ فعليك بالسنّة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»، بل قد قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي: «كلُّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن»[5].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «السنّة تُفسّر الكتاب وتُبينه»[6].

وقد مرّ بنا بيان اختلاف العلماء في المقدار الذي بيّنه الرسول ﷺ من القرآن، لكن ينبغي أن يُعلم أنّ الوضاعين قد دسّوا أحاديث عن الرسول ﷺ في التفسير ونسبوها إليه، فينبغي تحقيق الرواية في ذلك والتأكد من صحة نسبتها إلى الرسول ﷺ وقد تصدّى لهذا الأمر جهابذة العلماء الذين هيأهم الله تعالى من عباده العلماء وأمدّهم بعونه وتوفيقه وهدايته تحقيقاً لوعده عزّ شأنه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[7]. ولهذا لمّا أراد هارون الرشيد أن يقتل زنديقاً قال له الزنديق: أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.
(٢) سورة النجم، الآية: ٢٦.
(٣) سورة النساء، من الآية: ١٢٣.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٥) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية، ص٩٣.
(٦) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ٣٩/١.
(٧) سورة الحجر، الآية: ٩.

فيكم أحرّم فيها الحلال، وأحلّلُ فيها الحرام ما قال النبي ﷺ منها حرفاً، قال له هارون: أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبدالله بن المبارك ينخلانها نخلاً فيخرجانها حرفاً حرفاً[1].

أوجه بيان السنّة للكتاب:

وللعلاقة بين السنّة والقرآن وجوه منها:

الوجه الأول: أنّ السنّة تُبيّن ما أجمل في القرآن، وتوضح المشكل وتخصص العام، وتقيد المطلق.

فمن بيان المجمل: بيان مواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها، وكيفيتها، وبيان مقادير الزكاة وأوقاتها، وأنواعها وبيان مناسك الحج، وكيفية أدائها.

ومن توضيح المشكل: تفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل.

ومن تخصيص العام: تخصيص الظلم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ...﴾[2] فهو ظلم عام، إلا أنه خصص بقول الرسول ﷺ بأنه الشرك.

ومن تقييد المطلق: تقييده اليد في قوله تعالى: ﴿... فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ...﴾[3] باليمين وأنه إلى مفصل الكفّ.

الوجه الثاني: بيان معنى لفظ أو متعلقه.

كبيان ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باليهود و﴿ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ بالنصارى.

الوجه الثالث: بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم،

---

(١) تاريخ الخلفاء: للسيوطي ص١٩٤، والأسرار المرفوعة: لملا علي القاري ص٦٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

كتحريم نكاح المرأة على عمّتها وخالتها، وصدقة الفطر، ورجم الزاني المحصن وميراث الجدة.

الوجه الرابع: بيان التأكيد.

وذلك بأن تأتي السنّة موافقة لما جاء في القرآن لتأكيده كقول الرسول ﷺ: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه**»[1]. فإنه يُوافق قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[2] ونحو ذلك[3].

وبهذا يظهر أنّ السنّة النبوية أهم مصادر التفسير بالمأثور مع القرآن الكريم.

ثالثها: تفسير الصحابة رضي الله عنهم:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم»[4].

رابعها: تفسير التابعين:

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنّة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، فإنه آية في التفسير، وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المُسَيِّب، وأبي العالية،

---

(١) رواه الدارقطني في سننه ٢٦/٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٣) رجعت في بيان هذه الوجوه إلى التفسير والمفسرون: للذهبي ٥٥/١ ـ ٥٧.

(٤) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص٩٥.

والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم من بعدهم[1].

حكم التفسير بالمأثور:

إجمالاً يجب الأخذ بالتفسير بالمأثور ولا يجوز العدول عنه إذا صح، وقد سبق بيان حكم تفسير الصحابي وتفسير التابعي تفصيلاً، والله أعلم.

ومن المؤلفات في التفسير بالمأثور:

ينبغي أن يعلم أنه ليس هناك كتاب في التفسير بالمأثور محض بل يخالطه شيء من التفسير بالرأي وقصدنا هنا بالغالب:

١ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري (ت٣١٠).

٢ ـ تفسير القرآن العظيم: ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧).

٣ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق الثعلبي (ت٤٢٧)[2].

٤ ـ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤).

٥ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت٩١١).

٦ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠).

٧ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣).

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١٠٢ ـ ١٠٤.

(٢) حقق هذا التفسير في جامعة أم القرى في عدد من رسائل الدكتوراه ولعل الجامعة تقوم بطبعه ونشره إن شاء الله. وطبع في بيروت طبعة مليئة بالأخطاء والزيادات المقحمة، والتعليقات الخاطئة.

ثانياً: منهج التفسير بالرأي:

والمراد بالرأي: الاجتهاد، ويسمى هذا اللون من التفسير (التفسير بالاجتهاد) و(التفسير بالدراية) و(التفسير بالعقل) و(التفسير بالرأي).

نشأته:

نشأ هذا اللون من التفسير في عصر مبكر في الإسلام فقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - يفسرون القرآن بالقرآن وبالسنة فإن لم يجدوا التفسير فسروه باجتهادهم، وكذلك فعل التابعون من بعدهم فكانوا يستندون في تفسيرهم إلى المقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع.

واستمر الأمر على هذا النحو إلى أن نشأت الفرق والمذاهب المنحرفة التي فسرت آيات القرآن وفق مذاهبهم الفاسدة وآرائهم الباطلة غير مستندين إلى شرع ولا إلى لغة صحيحة، وإنما مجرد الرأي والهوى ولهذا انقسم التفسير بالرأي إلى نوعين.

أنواع التفسير بالرأي:

والتفسير بالرأي نوعان:

الأول: التفسير بالرأي المحمود.

الثاني: التفسير بالرأي المذموم.

التفسير بالرأي المحمود:

تعريفه:

وهو التفسير المُسْتَمَدُّ من القرآن ومن سُنّة الرسول ﷺ وكان صاحبه عالماً باللغة العربية، خبيراً بأساليبها، عالماً بقواعد الشريعة وأصولها.

والمفسر - هنا - يبذل جهده ووسعه في فهم النص القرآني وإدراك معناه مستنداً إلى اللغة، والنصوص، والأدلة الشرعية.

ولعل هذا النوع هو الذي دعا به الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «**اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» وهو الذي وقع فيه الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في معنى الآية فأخذ كلٌّ واحد برأيه على مقتضى نظره في المقتضى كما قال الزركشي[1].

حكمه:

أجاز العلماء رحمهم الله تعالى التفسير بالرأي الذي يستند إلى اللغة، ونصوص الشريعة ولهم أدلة كثيرة على قبوله منها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[4]، وغير ذلك من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن وإعمال الذهن في آياته، والتذكر.

٢ - واستدلوا بدعاء الرسول ﷺ لابن عباس: «**اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»، فلو كان التفسير مقصوراً على النقل لما كان لابن عباس مزية على غيره لاستوائه مع غيره فيه، فَدَلَّ على أن المراد أمر آخر وراء النقل والسماع وهو التفسير بالرأي والاجتهاد[5].

٣ - واستدلوا بما ورد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من قوله لشريح لما بعثه على قضاء أهل الكوفة: «انظر ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع سنة رسول الله ﷺ وما لم يتبين لك فيه سنة فاجتهد رأيك»[6].

---

(١) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٢/١٦١.
(٢) سورة القمر، الآية: ١٧.
(٣) سورة محمد، الآية: ٢٤.
(٤) سورة ص، الآية: ٢٩.
(٥) التفسير والمفسرون: للذهبي ١/٢٦٣.
(٦) جامع بيان العلم وفضله: لابن عبدالبر ٢/٧١.

٤ ـ واستدلوا بأن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ اختلفوا في تفسير القرآن على وجوه ولو كان التفسير عن طريق النقل وحده لما وقع الاختلاف بينهم، فَدَلَّ على أن تفسيرهم كان بالرأي والاجتهاد.

وبهذا يظهر أن التفسير بالرأي المحمود جائز.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فأما من تكلم ـ يعني: في التفسير ـ بما يُعْلَمُ من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه»[1].

أهم المؤلفات في التفسير بالرأي المحمود:

والكتب المؤلفة في هذا اللون من التفسير كثيرة جداً قديماً وحديثاً لكن ينبغي أن يُعْلم أن هذا لا يعني سلامتها جميعاً من الأخطاء والتفسير بالرأي المذموم بل إن في بعضها أخطاء في مسائل عقدية لكن الغالب هو التفسير بالرأي المحمود فمن المؤلفات:

١ ـ مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي.

٢ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين البيضاوي.

٣ ـ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي.

٤ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي.

٥ ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا.

٦ ـ تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمٰن السعدي.

٧ ـ محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١١٤.

التفسير بالرأي المذموم:

تعريفه:

وهو التفسير بمجرد الرأي والهوى.

فهو تفسير لا يستند إلى نصوص الشريعة، وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل البدع والمذاهب الباطلة، فقد اعتقدوا معتقدات باطلة وآراء زائفة ليس لها سند ولا دليل ثم أرادوا أن يستدلوا لها من القرآن الكريم فلم تطاوعهم نصوصه على ما ذهبوا إليه ففسروها بآرائهم، وحملوها ما لا تحتمل من عقائدهم، كما قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المفسرين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم»[1].

حكمه:

وهذا النوع من التفسير حرام لا يجوز.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام»[2].

والأدلة على تحريمه كثيرة من الكتاب والسنة ومن أقوال الصحابة والتابعين:

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[3].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع عبدالرحمٰن بن قاسم وابنه محمد ٣٥٨/١٣.
(٢) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١٠٥.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] والتفسير بمجرد الرأي قول على الله بغير علم.

ومن السنة:

حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن الرسول ﷺ أنه قال: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»[2]. وحديث جندب بن عبدالله البجلي - رضي الله عنه -: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»[3].

ومن أقوال الصحابة رضي الله عنهم في تفسير القرآن بمجرد الرأي:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أنهم شَدَدوا في أن يُفسر القرآن بغير علم»[4].

فمن ذلك قول أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه: «أيُ أرض تُقلني وأيُ سماء تظلني إذا قلتُ في كتاب الله ما لم أعلم»[5]، وفي رواية: «إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم»[6].

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٣٣/١، والترمذي في سننه ١٩٩/٥ كتاب «تفسير القرآن» وقال: «حديث حسن صحيح» وبلفظ: «**من قال في القرآن برأيه وبما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار**» رواه أبو داود تحفة الأشراف ٤٢٣/٤، وابن كثير ٥/١، والنسائي في السنن الكبرى ٣١/٥، فضائل القرآن باب من قال في القرآن برأيه بغير علم، رقم ٨٠٨٥.

(٣) رواه أبو داود كتاب العلم رقم ٣٦٥٢، ص٥٢٤، والترمذي ح٢٩٥٢، ص٦٦٣، والنسائي ح٨٠٨٦، ٣١/٥. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم» وقال الألباني: ضعيف. (ضعيف سنن الترمذي) ص٣٣٩.

(٤) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١٠٧.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ١٦٨/١، رقم ٣٦، وابن عبدالبر في الجامع ١٥٦١، وأعله ابن حجر بأنه منقطع ٢٧١/١٣، وكذلك ابن تيمية في المقدمة ص١٠٨.

(٦) تفسير الطبري ٧٨/١.

﴿٣١﴾[1]، فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إنّ هذا لهو التكلُف يا عمر[2]. وورد عنه ـ رضي الله عنه ـ: «اتقوا الرأي في دينكم»[3].

وعن ابن أبي مليكة أن ابن عباس سُئل عن آية لو سئل عنها بعضُكم لقال فيها فأبى أن يقول فيها[4]، قال ابن تيمية: ـ إسناد صحيح[5] ـ.

وسأل رجل جندب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ عن آية من القرآن فقال له: أُحَرِّجُ عليك إن كنتَ مُسلِماً لما قُمْت عَنّي أو قال: أن تجالسني[6].

ومن أقوال التابعين ـ رحمهم الله تعالى ـ في ذم التفسير بمجرد الرأي:

ما روى يحيى بن سعيد عن ابن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن[7]، وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألتُ عنها ولكنها الرواية عن الله[8].

وقال مسروق: «اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله»[9]، وروى

---

(١) سورة عبس، من الآية: ٣١.
(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ١٨١٨ رقم ٤٣، وأبو عبيد في فضائل القرآن حديث ٨٢٥ ص٣٥٢، والحاكم في المستدرك ٥١٤/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير: إسناده صحيح ٥٠١/٤.
(٣) المدخل إلى السنن الكبرى: للبيهقي رقم ٢١٠، ١٩٥/١.
(٤) تفسير الطبري: ٨٦/١.
(٥) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١١٠.
(٦) تفسير الطبري: ٨٦/١.
(٧) تفسير الطبري: ٨٦/١.
(٨) المرجع السابق: ٨٧/١.
(٩) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١١٣.

عبيدالله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال: «إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده»[1]. وقال إبراهيم بن يزيد النخعي «كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه»[2].

وقال أبو يعلى الفراء (ت٤٥٨هـ): «تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد غير جائز»[3]. وقال أبو الوفاء بن عقيل (ت٥١٣هـ): «لا يجوز عند أصحابنا، بل لا يجوز إلا نقلاً»[4].

بل بلغ تورعهم ما رواه المُبَرِّد قال: «كان الأصمعي لا يفسر شعراً يوافق تفسيره شيئاً من القرآن»[5].

هذه بعض الأدلة التي استدل بها العلماء رحمهم الله تعالى على تحريم تفسير القرآن بمجرد الرأي.

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى: «وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا: من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يُدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله ﷺ أو بنَصْبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القِيْلُ فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه - وإن أصاب الحق فيه - فمُخطئ فيما كان من فعله بقِيْله فيه برأيه»[6].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[7]، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «وقد

(١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١١٣.
(٢) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١١٣.
(٣) العدة في أصول الفقه: لأبي يعلى الفراء ٣/٧١٠.
(٤) الواضح: لأبي الوفاء بن عقيل ٤/٦١.
(٥) المزهر: للسيوطي باب معرفة آداب اللغوي ٢/٣٠٢ وما بعدها.
(٦) تفسير الطبري: ١/٧٨ - ٧٩.
(٧) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريماً منه وهو الإثم والظلم ثم ثَلَّثَ بما هو أعظم تحريماً منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم رَبَّعَ بما هو أشد تحريماً من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه وتعالى بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه»[1].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى بعد أن ذكر بعض هذه الآثار ـ: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأمّا مَنْ تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه، ولهذا رُوي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه، ولقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ . . .﴾[2]. ولما جاء في الحديث المروي من طرق: «**من سُئلَ عن علمٍ فكتمه ألجمَ يومَ القيامة بلِجَامٍ من نار**»[3]»[4].

وقال النووي رحمه الله تعالى: «ويحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها»، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه، وأمّا تفسيره للعلماء فجائز حسن، والإجماع منعقد عليه»[5] وقال: «أما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته فحرام عليه التفسير،

---

(١) إعلام الموقعين: ابن القيم ٣٨/١.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٨٧.

(٣) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وقال الألباني: إسناده صحيح (مشكاة المصابيح) ٧٧/١.

(٤) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١١٤ ـ ١١٥.

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن: للنووي ص١٣٢ ـ ١٣٣.

لكن له أن ينقل التفسير عن المعتمدين من أهله»[١].

إذا عُلِمَ هذا فينبغي الحذر كل الحذر من الجرأة على القرآن وتفسيره بمجرد الرأي، وكم يَحِزُ في النفس حين نرى كثيراً من الناس يتجرأون على تفسير كلام الله ولا يحسبون لذلك حساباً، فلا تتلكأ ألسنتهم، ولا توجف قلوبهم وكأنهم قد أحاطوا بالقرآن علماً، وأصبح من مداركهم.

وكم من رجل منهم فسر آية لو عُرِضَتْ على أبي بكر - رضي الله عنه - خير هذه الأمة بعد نبيها، وأكثر الناس ملازمة للرسول ﷺ وعلماً بالقرآن لو عُرِضتْ عليه لقال: «أيُ أرض تُقلني وأيُ سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم» وإن أحدهم ليفسر الآية ولو سمعه عمر - رضي الله عنه - لقرعه بدرته[٢] والله المستعان.

التفسير بما ثبت في لغة العرب:

نبه كثير من العلماء إلى أن التفسير بما ثبت في لغة العرب إذا لم يرد في الآية تفسير عن النبي ﷺ أو الصحابة رضي الله عنهم ليس من التفسير بالرأي المذموم. وإنما هو تفسير بعلم، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين.

قال الماوردي نافياً أن يكون التفسير باللغة من التفسير بالرأي المذموم وذلك أثناء تعليقه على الحديث السابق - **«من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»** -: «قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبتها الشواهد ولم يعارض شواهدها نص صريح وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام منه كما قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[٣]»[٤].

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن: للنووي ص١٣٢ - ١٣٣.

(٢) من كتابي (خصائص القرآن الكريم) ص١٥٥ - ١٥٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ١٦٢/٢.

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فأما من تكلم ـ يعني: في التفسير ـ بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه»[1].

أهم المؤلفات في التفسير بالرأي المذموم:

١ ـ تنزيه القرآن عن المطاعن: عبدالجبار الهمداني المعتزلي.

٢ ـ الكشاف: الزمخشري المعتزلي.

٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي.

٤ ـ حقائق التفسير: أبو عبدالرحمٰن السلمي.

٥ ـ هميان الزاد إلى دار المعاد: محمد بن يوسف إطفيش.

ثالثاً: منهج التفسير الفقهي:

أنزل الله سبحانه وتعالى هذا القرآن العظيم لحكم عظيمة غايتها ونهايتها:

١ ـ تصحيح العقيدة.

٢ ـ تقويم السلوك[2].

أمّا أولها فقامت به آيات العقائد، وبنته على قواعد سليمة قوامها أركان الإيمان.

أمّا الثاني فتكفلت به آيات الأحكام على وجه اختاره الله لعباده ضَلُّوا إنْ عملوا بسواه، وكفروا إنْ حكموا بغيره.

وقد استحوذ هذان الركنان على جُلّ أو إن شئت فقل كل آيات القرآن الكريم، وما عداهما من آيات القصص والأمثال والوعد والوعيد لا يخرج كله عن تقرير عقيدة أو تقويم سلوك، فهو داخل في دائرة هذين الركنين لا يخرج عنهما بحال من الأحوال[3].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص١١٤.

(٢) انظر: مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم ص١٣٧.

(٣) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: للمؤلف ٤١٥/٢.

ولا شك أنّ دلالة النصوص القرآنية لا تظهر بصورة شاملة للحُكم في كثير من الأحوال، كما أنها لا تدل بصورة قطعية على الأحكام في بعض الأحوال.

كما أنّ السنة النبوية ليست على درجة واحدة في الثبوت عن الرسول ﷺ، بل هي تتفاوت بين الصحة والضعف.

ولهذه الاختلافات في دلالة النصوص القرآنية، وتفاوت ثبوت بعض الأحاديث وللعلاقة الثابتة بين الكتاب والسنة لهذا كله أصبح المجال في غالبه مجال اجتهاد، وإعمال ذهن، واستنباط، بل سَمّة فِقهاً، وبهذا تكون نشأة علم الفقه مبكرة في صدر الإسلام[1].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتدبرون القرآن ويستنبطون أحكامه فيتفقون أحياناً ويختلفون حيناً، فقد وقع الاختلاف ـ مثلاً ـ في عدّة المرأة الحامل المُتوفى عنها زوجها وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ...﴾[2]. وقوله سبحانه: ﴿... وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾[3].

فقد استند علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم إلى هاتين الآيتين في أنّها تعتد بأبعد الأجلين (الوضع) أو (الأربعة أشهر وعشراً).

أما ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سلمة فإنّهم يرون أنّ عدتها الوضعُ لأنّ آية الطلاق نزلت بعد آية البقرة[4]، فهي مخصصة لها. واستدلوا أيضاً بحديث سُبيعة الأسلمية وقد سبق تفصيل هذا الخلاف[5].

---

(١) المرجع السابق: ٢/٤١٦.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٤.

(٣) سورة الطلاق، من الآية: ٤.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١/٢٩٥ ـ ٢٩٦ و٤/٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٥) انظر: مبحث اختلاف المفسرين وأسبابه ص٦٠ ـ ٦١.

ووقع الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في الثلث المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾[1]، فقد رأى عمر وعثمان وابن مسعود وزيد بن ثابت وأصحُ الروايتين عن علي رضي الله عنهم أجمعين، وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور العلماء[2]:

أن المراد ثلث الباقي إن كان معهما زوج أو زوجة، لأن الأم والأب ذكر وأنثى ورثا بجهة واحدة فللذكر مثل حظ الأنثيين وصورة المسألة هكذا:

إذا كان المُتوفى الزوج: ١٢		
زوجة	١/٤	٣
أم	١/٣ الباقي	٣
أب	الباقي	٦

إذا كان المُتوفى الزوجة: ٦		
زوج	١/٢	٣
أم	١/٣ الباقي	١
أب	الباقي	٢

وذهب ابن عباس وروي عن علي ومعاذ بن جبل إلى أنّ المراد ثلث المال كله لعموم الآية.

وصورة المسألة هكذا:

إذا كان المُتوفى الزوج: ١٢		
زوجة	١/٤	٣
أم	١/٣	٤
أب	الباقي	٥

إذا كان المُتوفى الزوجة: ٦		
زوج	١/٤	٣
أم	١/٣	٢
أب	الباقي	١

---

(١) سورة النساء، من الآية: ١١.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٨٤/١.

ويعتبر هذا الاختلاف نواة لاختلاف الفقهاء بعد ذلك.

ثم سعى أتباع كل مذهب فقهي إلى آيات الأحكام في القرآن الكريم يُفردونها بالتأليف ويُفسرونها حسب القواعد الفقهية في استنباط الأحكام فخرجت تفاسير لآيات الأحكام لا تكاد تجد بينها وبين كتب الفقه كبير فارق.

فتنوعت تفاسير آيات الأحكام حسب تنوع المذاهب الفقهية.

فمن المؤلفات في ذلك:

من المذهب الحنفي:

١ - تفسير أحكام القرآن: لأبي بكر الرازي المعروف بالجصاص في ثلاثة مجلدات.

٢ - التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية: مُلاّجيون في مجلد.

ومن المذهب المالكي:

١ - تفسير أحكام القرآن: لأبي بكر بن العربي في أربعة مجلدات.

٢ - الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله القرطبي في عشرة مجلدات كبار.

ومن المذهب الشافعي:

١ - أحكام القرآن: جَمَعَه أبو بكر البيهقي من نصوص الإمام الشافعي في مجلد.

٢ - أحكام القرآن: إلكيا الهراسي في مجلدين.

٣ - الإكليل في استنباط التنزيل: السيوطي في مجلد واحد.

ومن المذهب الحنبلي:

١ - زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي في تسعة مجلدات وهو وإن لم يكن من التفاسير المقتصرة على التفسير الفقهي إلا أنه يُعدَ

وَفْق المذهب الحنبلي في تفسير آيات الأحكام.

وفي العصور الحديثة ألف عددُ من العلماء كُتباً في تفسير آيات الأحكام منها:

١ - نيل المرام في تفسير آيات الأحكام: محمد صديق حسن في مجلد.

٢ - تفسير آيات الأحكام: وهي مذكرة تعاقب على تصحيحها وتنقيحها عدد من علماء الأزهر إلى أن قام الشيخ محمد على السايس بطبعها وتنقيحها ونشرها في مجلدين فنسبت إليه.

٣ - تفسير آيات الأحكام: مناع القطان.

رابعاً: منهج التفسير العلمي:

حين ضَلّت البشرية وتاهت في عالم التيه والضلال أرسل الله إليهم نبيه محمداً ﷺ وأنزل عليهم كتابه القرآن ﴿... هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ...﴾[1]. فأخرجهم به من الظلمات إلى النور ومن الضلال إلى الهدى.

وسلك القرآن مسلك الإقناع بالحجة والبرهان فساق الأدلة، وأَمَر بالنظر وحث على التفكر والتدبر، ودعا إلى التأمل، وعرض لكثير من مظاهر هذا الوجود الكونية كخلق السماوات والأرض، وخلق الإنس والجن والملائكة، وسَوْقِ السحاب، وتراكمه، ونزول المطر، وجريان الشمس والقمر، وتحدث عن الكواكب والنجوم والشهب، والصعود في السماء، وعن خَلْقِ الإنسان وأطوار الجنين، وعن النبات، والبحار، والجبال، وما تحت الثرى، وعَرَضَ لمعارف شَتّى، وعلوم متعددة.

ومع تطور العلوم والتقدم العلمي، والاكتشافات العلمية الحديثة، فلم ينقض العِلْمُ شيئاً مما جاء في القرآن، ولم يُصادم جُزئية من جزئياته مِمَّا بَوّأ القرآن الكريم مكانة لم يشاركه فيها كتّاب من قبله ولا من بعده فَمَا مِنْ كتاب عَرَضَ لمِثلِ ما عَرَضَ له القرآن الكريم إلا وكشف الزمنُ زيفه،

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٨٥.

وأبطلت الحقائق العلمية الثابتة نظرياته، حاشا القرآن الكريم، وهذا هو ما يسمى بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وقد توسع بعضُ المفسرين في هذا النوع من الآيات وأوْلَوْهَا عنايتهم واهتمامهم، فأبرزوا في تفاسيرهم الحديث عن الفلك ونظامه والكواكب والنجوم وسيرها، وعن أسرار خلق الإنسان وأطواره، وعن المياه والبحار والأنهار والسحب والأمطار، وعن النبات وسائر الأشجار، وعن الحيوانات والأنعام وينطلقون في هذا كله من الآيات القرآنية واستنباط معانيها ودلالاتها الظاهرة والخفية.

تعريفه:

ليس هناك تعريف محدد متفق عليه بين الباحثين وقد سبق أن ذكرت أن تعريفه هو:

اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان»[(١)].

حكمه:

وانقسم العلماء في حكم هذا التفسير إلى مؤيد، ومعارض، وإلى طائفة أخرى معتدلة، ولكل منهم حججه وبراهينه.

استدل المؤيدون للتفسير العلمي للقرآن بأدلة منها:

١ ـ أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على ألوهيته وربوبيته وقدرته وسعة علمه بأحوال السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذَكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها، وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزاً لما ملأ الله كتابه منها[(٢)].

(١) انظر كتابي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٥٤٩/١.
(٢) التفسير الكبير: الفخر الرازي ١٢١/١٤.

٢ ـ أنه تعالى قال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦﴾[1]. فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها، وكيف خلق كل واحد منها[2].

٣ ـ أن في التفسير العلمي إدراكاً لوجوه جديدة للإعجاز في القرآن.

٤ ـ أنه يملأ النفس إيماناً بعظمة الله وقدرته حينما يقف الإنسان في تفسير كلام الله على خَواص الأشياء، ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون[3]، وحينما يرى الحقائق القرآنية ثابتة وصامدة تتكسر تحت أقدامها «النظريات العلمية» وتعانقها «الحقائق» العلمية بسلام.

وقال المعارضون للتفسير العلمي:

١ ـ أن إعجاز القرآن ثابت وهو غني عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك المتكلف الذي قد يذهب بإعجاز القرآن.

٢ ـ أن الدعوة القرآنية إلى النظر في الكون والعلوم هي دعوة عامة إلى موضع العظة والتفكر وليست بدعوة إلى بيان دقائقها وكشف علومها.

٣ ـ أن التفسير العلمي مدعاة للزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه لأن عملية «التوفيق» تفترض غالباً محاولة للجمع بين موقفين يُتَوهمُ أنهما متعاديان ولا عداء، أو يُظن أنهما متلاقيان ولا لقاء، بمعنى أنه لا يُحالف النجاح كُلَّ عملية من عمليات التوفيق.

٤ ـ أَنَّ تناول القرآن بهذا اللون من التفسير يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النصّ القرآني الكريم، لأنه يَحُسُّ بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة مع أنّ كثيراً من حقائق العلم مؤقتة ومتغيرة ولا تظهر كُلُّها دفعة واحدة، بل تتكشف يوماً بعد يوم وحينئذٍ يكون التعجل

---

(١) سورة قٓ، الآية: ٦.

(٢) التفسير الكبير: الفخر الرازي ١٤/١٢١.

(٣) مناهل العرفان: الزرقاني، ١/٥٦٨ ـ ٥٦٩.

في تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلاً غير مشروع[١].

٥ ـ أَنَّ ما يُكتشف من العلوم إنّما هو نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية إلى أن يظهر فرض آخر يُفسر قدراً أكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق. ومن ثمّ فهي قابلة دائماً للتغيير، والتعديل، والنقص، والإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة[٢]، ومن ثمّ فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية على مثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند سقوط تلك النظرية.

والرأي الراجح:

هو أنه لا بأس من إيراد (الحقائق) العلمية الثابتة التي لا تقبل الشك عند تناول النص القرآني مع إدراك معنى النص وفهمه الفهم السليم الخالي من الشوائب والمؤثرات الخارجية أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية وهذا كله مشروط بـ[٣]:

١ ـ أنْ لا تطغى تلك المباحث على المقصد الأول من القرآن وهو الهداية.

٢ ـ أنْ تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.

٣ ـ أنْ تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة ويلفتهم إلى جلال القرآن وعظمته، ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذي سخره الله لنا انتفاعاً يُعيد للأمة الإسلامية مجدها[٤].

---

(١) الفكر الديني في مواجهة العصر: لعفت الشرقاوي ص٤٤٣.

(٢) في ظلال القرآن: لسيد قطب، ٩٧/٢.

(٣) من كتابي (اتجاهات التفسير) ٦٠٤/٢.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ٥٦٩/١ ـ ٥٧٠.

٤ ـ أنْ لا تُذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النصُّ القرآني على سواه، بل تُذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بَعْدُ على قداسة النصّ القرآني، ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرَدّ أو البطلان[١].

أهم المؤلفات في هذا اللون من التفسير:

وهناك مؤلفات كثيرة قديماً وحديثاً اشتملت على هذا اللون من التفسير منها:

١ ـ التفسير الكبير: الفخر الرازي.

٢ ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم: طنطاوي جوهري.

٣ ـ كشف الأسرار النورانية القرآنية: محمد بن أحمد الإسكندراني.

٤ ـ القرآن ينبوع العلوم والعرفان: علي فكري.

٥ ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: زغلول النجار.

٦ ـ علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة: عبدالمجيد الزنداني.

خامساً: منهج التفسير اللغوي:

نزل القرآن الكريم باللغة العربية والآيات الدالة على ذلك كثيرة قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾[٢]. وقال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾[٣]. مما يؤكد أنه لا يمكن معرفة القرآن وفهم معانيه إلا بلغته

---

(١) مجلة كلية أصول الدين: العدد الثاني ص٥٨ مقال: (نظرات في مدرسة التفسير الحديثة) د. مصطفى مسلم.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ ـ ١٩٥.

العربية وفي هذا بيان صريح لأهمية اللغة العربية لفهم القرآن وتفسير معانيه ومنزلة التفسير اللغوي للقرآن بين مناهج التفسير.

تعريفه:

المراد بالتفسير اللغوي: بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب[1].

منزلته ومكانته:

يدل على أهمية ومنزلة التفسير اللغوي عدة أمور منها:

١ ـ التأكيد على نزول القرآن بلسان عربي مبين في آيات كثيرة مما يعني أنه لا يمكن الاستغناء عن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم لفهمه وبيان معانيه.

قال ابن فارس: «إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ورسول الله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جَلَّ وعَزَّ وما في سنة رسول الله ﷺ من كل كلمة غريبة، أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بُدًّا»[2].

وقال الشاطبي رحمه الله تعالى: «إن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة»[3].

٢ ـ أن الغفلة أو الخطأ في دلالة اللفظ أو جهل معناه في لغة العرب يوقع في خطأ في التفسير أو تحريف.

قال ابن خالويه: «كان عمرو بن عبيد (إمام المعتزلة) يؤتى من قلة المعرفة بكلام العرب... وقد كان كَلَّم أبا عمرو بن العلاء (أحد أئمة

---

(١) التفسير اللغوي للقرآن الكريم: د. مساعد الطيار، ص٣٨.
(٢) الصاحبي في فقه اللغة: لابن فارس ص٥٠.
(٣) الموافقات: للشاطبي ٢/٦٤.

القراءات) في الوعد والوعيد فلم يفرق بينهما، حتى فَهَّمَه أبو عمرو وقال: ويحك إنَّ الرجل العربي إذا وعد أن يسيء إلى رجل ثم لم يفعل، يقال: عفا وتكرم، ولا يقال: كذب، وأنشد[1]:

وإنـــي إذا وَعَـــدْتُـــه أو أَوْعَـــدْتُـــه   لمخلفُ إِيعادي ومُنْجِزُ مَوْعِدي»[2]

والأمثلة كثيرة وإنما وقع الخطأ في مثل هذا بسبب الجهل أو الغفلة عن معاني ألفاظ اللغة ومدلولاتها ولذا شدد العلماء النكير على من فسر القرآن وهو جاهل بلغة العرب[3].

٣ ـ أن الصحابة رضي الله عنهم والسلف من بعدهم كانوا إذا أشكل عليهم لفظة اجتهدوا في بيانها ورجعوا إلى أقوال العرب واستشهدوا بأشعارهم لمعرفة معناها وتفسيرها.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سئل عن (التخوف) في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[4]، وهو على المنبر فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص ثم أنشد:

تَـخَـوَّفَ الـرَّحْـلُ مـنـهـا تَـامِـكـاً قَـرِداً   كـمـا تـخـوف عُـودَ الـنَّـبْـعَـةِ الـسَّـفَـنُ[5]

فقال عمر رضي الله عنه: «أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم»[6].

---

(١) البيت لعامر بن الطفيل تاج العروس: للزبيدي مادة (وعد).
(٢) إعراب القراءات السبع وعللها: لابن خالويه، تحقيق: د.عبدالرحمٰن العثيمين ٥٤/١.
(٣) انظر مزيد بيان لهذا في مبحث غريب القرآن في هذا الكتاب.
(٤) سورة النحل، الآية: ٤٧.
(٥) ينسب البيت إلى أبي بكر الهذلي، انظر: الدر المصون: السمين الحلبي ٢٢٥/٧، ونسب إلى غيره انظر الكشاف: الزمخشري ٤١١/٢ ولسان العرب مادة (رحل) والشاعر يصف ناقته بأن السير أخذ ينقص من سنامها كما ينقص المبرد العود والسَّفَن حديدة يبرد بها الألواح والحديد.
(٦) انظر: تفسير الكشاف: للزمخشري ٥٦٨/٢، والموافقات: للشاطبي ٨٨/٢.

٤ ـ أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما أراد أن يجمع القرآن الكريم قال للقرشيين الثلاثة أعضاء لجنة الجمع: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل القرآن بلسانهم[١].

فرجع رضي الله عنه وأرضاه إلى اللغة ومن هنا كانت اللغة هي أول مراحل التفسير ويؤكد هذا أن ابن عباس رضي الله عنهما عد اللغة أول أوجه التفسير حين قال: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله»[٢].

قال الزركشي: «فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك شأن اللغة والإعراب»[٣]، ثم قال: «إذا تقرر ذلك فما كان من التفسير راجعاً إلى هذا القسم فسبيل المفسر التوقف فيه على ما ورد في لسان العرب، وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين»[٤].

نشأة التفسير اللغوي:

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يبين القرآن لأمته: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٥]، ثم جاء من بعده الصحابة رضي الله عنهم الذين نزل القرآن بلغتهم، وشهدوا التنزيل وعرفوا أحواله فتصدى بعضهم للتفسير وبرز فيه، ثم جاء من بعدهم التابعون ممن تتلمذ عليهم ونهل من منهلهم، ثم حمله من بعدهم بعض أعلام المفسرين من أتباع التابعين.

---

(١) صحيح البخاري ٩٩/٦.
(٢) تفسير الطبري ٣٤/١.
(٣) البرهان: للزركشي ١٠٦/٢.
(٤) المرجع السابق: ١٠٧/٢.
(٥) سورة النحل، الآية: ٤٤.

وإذا أطلق مصطلح السلف في علم التفسير فإنما يراد به تلكم الطبقات الثلاث (الصحابة والتابعون وأتباع التابعين) وهم الذين كان لهم اجتهاد بارز في التفسير، وقَلَّ أن تجد في علماء الطبقات التي تليهم من كان مشهوراً بالتفسير والاجتهاد فيه، بل كان الغالب على عمل من جاء بعدهم في علم التفسير نقل أقوال علماء هذه الطبقات الثلاث أو الاختيار أو الترجيح كما فعل ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى وغيره، وهذه الطبقات هي التي اعتمد النقل عنها علماء التفسير المتقدمون كعبدالرزاق بن همام الصنعاني وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم[١].

وقد شارك أتباع التابعين في التفسير جمع من علماء اللغة وكتبوا فيه كالكسائي (ت١٨٣هـ) وتلميذه الفراء (ت٢٠٧هـ) وكتابه معاني القرآن.

كما شارك بعض اللغويين من المعتزلة مثل قطرب (ت٢٠٦هـ)، والأخفش (ت٢١٥هـ). وبعض متكلمي المعتزلة كالأصم (ت٢٠٦هـ)[٢].

ولا شك أن لمثل هذا الجمع أثره في التفسير اللغوي في عهد أتباع التابعين سلباً وإيجاباً، وإن كانت أغلب كتبهم لم تصل إلينا لكن أصحاب الفرق من بعدهم قد سلكوا مسلك صرف معاني الكلمات العربية إلى معان أخرى غير مرادة لموافقة مذهبهم كما فعل الزمخشري بعد ذلك وغيره حتى قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه»[٣]. وقال أيضاً عن أهل البدع: «أنهم يفسرون القرآن برأيهم العقلي وتأويلهم اللغوي»[٤].

---

(١) التفسير اللغوي: د.مساعد الطيار ص٥٧ ـ ٥٨، وقد حرر حفظه الله تعالى هذه المسألة وأجاد.

(٢) التفسير اللغوي: د.مساعد الطيار ٥٩ ـ ٦٠.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٥٨/١٣.

(٤) تفسير سورة الإخلاص: لابن تيمية ص٢٠١.

مصادر التفسير اللغوي عند السلف[1]:

اعتمد أئمة السلف في التفسير على عدة مصادر نقلية:

١ ـ التفسير النبوي:

ومن تفسيره عليه الصلاة والسلام اللغوي تفسيره للوسط في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[2]. قال: «**الوسط: العدل**»[3]، وتفسيره الخيط الأبيض والأسود في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[4]، بأنه بياض النهار وسواد الليل[5].

٢ ـ لغات القبائل:

فقد يكون أحدهم من قبيلة والكلمة بلغة قبيلة أخرى فيسأل عنها أهلها، كما خفي معنى التخوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام رجل من هذيل وقال: التخوف عندنا هو التنقص[6]، وخفي على ابن عباس رضي الله عنهما معنى فاطر حتى سمع أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا الذي فطرتها، وخفي عليه رضي الله عنه معنى الفتح في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾[7]، حتى سمع ابنة ذي يزن الحميري تقول: تعال أفاتحك. يعني: أقاضيك[8].

وما روي أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بنصب الراء قال: وقرأ بعض

---

(١) استفدت في هذا المبحث من كتاب فضيلة الشيخ الدكتور مساعد الطيار (التفسير اللغوي) ص٦١.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٤٣.

(٣) أخرجه البخاري، انظر: فتح الباري، ط. الريان ٢١/٨.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ١٨٧.

(٥) أخرجه البخاري، انظر: فتح الباري ٣١/٨.

(٦) تفسير القرطبي ١١١/١٠.

(٧) سورة الأعراف، من الآية: ٨٩.

(٨) البرهان: للزركشي ٢٩٣/١.

من عنده من أصحاب رسول الله ﷺ: «ضَيّقاً حرجاً» بكسر الراء[1]، فقال عمر: أبغوني رجلاً من كنانة واجعلوه راعي غنم وليكن مُدْلجياً، قال: فأتوا به، فقال عمر: يا فتى ما الحرجة؟ قال: الحرِجة فينا: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير»[2].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضَالَّةً أُنْشِدَت فجاء صاحبها فقال: أنا بعلها: يريد: رَبُّها، فقال ابن عباس: هو من قول الله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[3]، أي: رباً[4].

٣ ـ الشعر:

فقد كان الشعر ديوان العرب وقد مر بنا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم»[5]، وما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»[6].

ومسائل نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما مشهورة حيث سأله عن عدد من كلمات القرآن فإذا ذكر له معناها ذكر شاهداً لقوله من الشعر.

وسئل عكرمة عن الزنيم فقال: هو ولد الزنا، وتمثل بقول الشاعر:

زَنيمٌ ليس يُعرَفُ مَنْ أَبُوه ... بَغِيُّ الأمِّ، ذو حسبٍ لئيمِ[7]

---

(١) قرأ بكسر الراء: نافع وعاصم من رواية أبي بكر شعبة، وقرأ الباقون بالفتح، انظر: إعراب القراءات السبع وعللها: لابن خالويه ١/١٦٩.
(٢) تفسير الطبري: تحقيق: أحمد شاكر ١٢/١٠٤.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٢٥.
(٤) لسان العرب: لابن منظور مادة (بعل).
(٥) تفسير الكشاف: ٢/٥٦٨، والموافقات: للشاطبي ٢/٨٨.
(٦) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ١/٢٩٢ ـ ٢٩٣، والإتقان: للسيوطي ١/١١٩.
(٧) تفسير الطبري: ط. الحلبي ٢٩/٢٥.

وعن السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾[1]، قال: لذي لُبّ قال الحارث بن ثعلبة[2]:

وكيف رجائي أن تثوب وإنما يُرَجَّى من الفتيان من كان ذا حِجْرِ

ضوابط التفسير اللغوي:

يقع من بعض أعلام المفسرين واللغويين أخطاء في تفسير بعض الآيات القرآنية نتيجة غفلتهم عن الفروق اللغوية، ولذا فإن للتفسير اللغوي ضوابط ينبغي الالتزام بها، ومنها[3]:

١ ـ موافقة معاني القرآن لمعاني اللغة العربية:

فالقرآن نزل بلسان عربي مبين فالقرآن جرى على عادات العرب في لسانهم، ولذا قرر الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ قاعدة تفسيرية بقوله: «إنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ من الكلام إلى ما كان موجوداً مثله في كلام العرب دون ما لم يكن موجوداً في كلامها»[4].

وقال ابن عاشور ـ رحمه الله تعالى ـ: «إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم»[5].

٢ ـ حمل القرآن على الأفصح والأشهر في لغات العرب:

وبيَّن ذلك الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله: «الذي هو أولى بكتاب الله عزَّ وجلَّ أن يوجه إليه من اللغات: الأفصح الأعرف من كلام العرب دون الأنكر الأجهل من منطقها»[6].

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٥.
(٢) إيضاح الوقف والابتداء: لابن الأنباري ٧٥/١.
(٣) انظر: منهج النقد في التفسير: د.إحسان الأمين ١٢٦ ـ ١٤١.
(٤) تفسير الطبري ٩/٢.
(٥) التحرير والتنوير: لابن عاشور ٣٥/١.
(٦) تفسير الطبري: ٤٥/٢.

وقال ابن خالويه: «قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن لا خلاف في ذلك»[1].

٣ ـ الالتزام بمعاني الألفاظ زمن النزول دون المعاني الحادثة:

ولذا استدل المفسرون بالشعر العربي الفصيح وقت نزول القرآن واقتصروا على الشواهد الشعرية القديمة دون شعر المولدين.

وكان أرباب اللغة العربية كالأصمعي وغيره يرحلون إلى البوادي يطلبون جفاة العرب الذين لم تشب ألسنتهم شوائب العجمة.

ولذا عد ابن جزي أول شروط الفصاحة أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا مما غلطت فيه العامة[2].

٤ ـ الالتزام بالمصطلحات القرآنية:

فقد نقل القرآن الكريم بعض الألفاظ العربية ذات الدلالة المعينة إلى دلالة أخرى خاصة والتزم بهذه الدلالة فالمعتبر حينئذ هو المصطلح القرآني وليس المدلول اللغوي إلا أن يدل على ذلك قرينة.

قال ابن فارس: كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم فلما جاء الله جلَّ ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول.. فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمى المؤمن بالإطلاق مؤمناً... ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول: في الصلاة اسمان لغوي وشرعي ويذكر

---

(١) المزهر في علوم اللغة: للسيوطي ٢١٣/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي الكلبي ١٢/١.

ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء الإسلام به»[1].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: إن للقرآن عرفاً خاصاً ومعاني معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه. . . فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به[2].

٥ ـ حمل الكلام على ظاهرة إلا أن يقوم الدليل على غيره:

والمراد بالظاهر ما تعرفه العرب من كلامها والمتبادر إلى الذهن، ولذا قال الطبري رحمه الله تعالى: «توجيه معاني كتاب الله إلى الظاهر المستعمل في الناس أولى من توجيهها إلى الخفي القليل في الاستعمال[3].

٦ ـ مراعاة السياق:

قال الزركشي: «ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز»[4].

وقال: «وطريق التوصل إلى فهمه ـ فيما لم يرد فيه نقل عن المفسرين ـ النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق»[5].

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: «غير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حجة، فأما الدعاوى فلا تتعذر على أحد»[6].

---

(١) الصاحبي: لابن فارس ص٤٤ ـ ٤٦ باختصار.
(٢) التفسير القيم: لابن القيم ص٢٦٨.
(٣) تفسير الطبري: ٢٧٧/٣.
(٤) البرهان: للزركشي ٣١٧/١.
(٥) البرهان: للزركشي ١٧٢/٢.
(٦) تفسير الطبري ٢٩/٥.

ومن المؤلفات في المنهج اللغوي:

١ ـ مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن مثنى.

٢ ـ معاني القرآن: أبو زكريا الفراء.

٣ ـ معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق الزجاج.

٤ ـ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي.

٥ ـ الكشاف: محمود الزمخشري.

٦ ـ التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور.

سادساً: منهج التفسير الاجتماعي:

حين نزل القرآن الكريم كان الناس في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، تعددت صور الجاهلية في مجتمعهم وتَنوعّت، الشريعة شريعة الغاب، دأبهم السلب والنهب، ومعبودهم الأصنام والأوثان، يئد الرجل منهم ابنته لا لشيء إلاّ خشية العار، ويئدُ ابنه لا لشيء إلاّ خشية الجوع، تشتعل الحروب بينهم السنوات الطوال لأتفه الأسباب واسألوا داحس والغبراء، لا صلة دينية توحد صفوفهم ولا رابطة سياسية تُقوي شوكتهم، ولا مصلحة اقتصادية تربط بينهم.

نزل القرآن وهم على هذه الحال، بل أشد، فهذب أخلاقهم، وصَحّح عقيدتهم وشَدّ أزرهم، وجَدّد عزمهم، وَوَحّد صفهم، ونشر الفضيلة بينهم، وتتبع عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية، فأقرّ الصحيح، وحَذّر من السيء فإذا بهذه الأمة في سنوات معدودة تنقلب من أمة مستضعفة لا يؤبه بها، ولا عبرة ولا مكانة ولا هيبة لها بين الدول، إلى أعظم الأمم، وصاحبة السيف والقلم.

فانتشرت الفضيلة، وساد الدين، وقويت شوكة المسلمين، واتسعت دولتهم. ففي القرآن علاج للأمراض الاجتماعية، وحلول للمشكلات السياسية، والقضايا الأسرية.

ولهذا اتجهت طائفة من المفسرين يعتنون بهذه الآيات ويتوسعون في تفسيرها طالبين علاج مشكلات مجتمعاتهم فينظر المفسر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص يلتمس داءه، ويتعرّف على علّته، حتى إذا عرفه نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج فإذا وجده تَوَسّع في شرحه وبيانه، وحث قومه على التزامه فنشأ بهذا لون من ألوان التفسير وهو الإصلاح الاجتماعي.

والمفسرون كلهم يتناولون هذه الآيات ويفسرونها إلا أنّ طائفة منهم تقف عندها فتُطيل الوقوف، وتربط بينها وبين ما هو سائد في مجتمعهم مما هو مخالف لها. فتميّز تفسيرها بهذه الميزة، واصطبغ بهذه الصبغة.

والمؤلفات التي سلكت هذا المسلك كثيرة منها:

١ ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا.

٢ ـ تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي.

٣ ـ صفوة الآثار والمفاهيم: عبدالرحمٰن بن محمد الدوسري.

٤ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب.

سابعاً: منهج التفسير البياني:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين على أمة كانت تُقيم للشّعر أسواقاً وللخطابة ندوات، وتَعُدّ الشّعر ديواناً وسجلاً للمفاخر[١].

نزل القرآن الكريم على أمة تمسك بزمام البلاغة والفصاحة، وعُرِفَت بحسن الأداء، وجمال المنطق، وسلامة التعبير، وما يزال الناس بعد أربعة عشر قرناً يُردّدون قصائدهم ويحفظون خطبهم، وهم يعدونها مثالاً للبلاغة والفصاحة، وحين نزل القرآن مَلَكَ ألبابهم وأسر عقولهم وأخذَ منهم كلّ مأخذ.

ذلك «أنه في كل شأن يتناوله يختار له أشرف المواد وأمسّها رحماً

(١) انظر: المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم: د. كامل سعفان ص٥.

بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كلّ مثقال ذرّة في موضعها الذي هو أحق بها، وهي أحقّ به، بحيث لا يجدُ المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يَجِدُ اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين، لا يوماً أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور، وتجيء العصور فلا المكان يُريد بساكنه بدلاً، ولا الساكن يبغي عن منزله حِولاً.. وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان»[1].

وخلاصة الأمر أن هذا البيان القرآني يجمع أموراً جملتها النظم الفريد العجيب، الحسن، المخالف لأساليب العرب، والصور البيانية التي تؤلف أبدع تأليف بين أفصح الألفاظ الجَزِلة وأصحّ المعاني الحسنة[2].

فاتجهت هِمّة طائفة من المفسرين إلى هذه الوجوه البيانية وأولَوها عنايتهم واتسعت الدراسات حولها.

وظهر هذا اللون من التفسير في تفسير الرسول ﷺ وفي تفسير الصحابة رضي الله عنهم، وأشهر من عُرفَ عنه ذلك هو ابن عباس رضي الله عنهما حيث كان يُكثر من التفسير اللغوي، ويرجع فيه إلى أشعار العرب لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتركيب[3]، وسار على نهجه تلاميذه كمجاهد وغيره.

ثم ظهرت المؤلفات العديدة في عصر التدوين مثل: (مجاز القرآن) لأبي عبيدة مَعْمَر بن المُثنى، وكتاب (معاني القرآن) للفَرّاء، وكتاب (نظم القرآن) للجاحظ.

وتتابعت المؤلفات فظهرت كتب عديدة تناولت إعجاز القرآن الكريم من هذا الجانب، وكتب تناولت التفسير كلّه وأوْلت البيان عناية كتفسير

---

(١) النبأ العظيم: د. محمد عبدالله دراز ص٩٢.
(٢) بيان إعجاز القرآن: لأبي سليمان الخطّابي ص٦٥.
(٣) خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: د. محمد رجب البيومي ص١٢.

(الكشاف) للزمخشري، واعتنت كتب بالمناسبات وهي من أوجُه البيان ككتاب البقاعي (نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور)، وكتاب السيوطي (تناسق الدّرر في تناسب السور)، ومن هذا اللون تفسير الألوسي (روح المعاني).

ولكن هذه المؤلفات لم تؤصّل هذا المنهج البياني وتُحدّد معالمه وإنما تناول كل منها جانباً أو جوانب متعددة.

ولكنّ أهل اللغة والبلاغة في العصر الحديث أطالوا النظر والتفكر ووضعوا معالم لهذا المنهج في التفسير ونستطيع أن نُجمل.

خطوات المنهج البياني في التفسير فيما يلي:

إعداد المادة:

أولاً: أنْ يجمع المفسرُ الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض ويتدبرها جميعاً ويُفسرها كذلك.

ثانياً: أن يرتب آيات الموضوع الواحد ترتيباً زمنياً حسب تاريخ نزولها.

دراسة حول النص:

ثالثاً: أن يدرس دراسة خاصة ما حول النّص كتاريخه وأسباب نزوله وجمعه وكتابته وقراءته ونحو ذلك من علوم القرآن.

رابعاً: ثم يُقدّم دراسة عامة للبيئة التي نزل بها هذا النص، البيئة المادية في الأرض والسماء والجبال والسهول والأودية، والبيئة المعنوية في تاريخ هذه الأمّة ونُظُمِها وأعرَافِها وعاداتها وتقاليدها.

دراسة النص:

خامساً: دراسة النّص القرآني في مفرداته وذلك بدراسة:

أ ـ استعمالات هذه المفردة لغوياً.

ب ـ دراسة استعمالاتها في القرآن الكريم في مواضع مختلفة ومدلولها في كل موضع.

سادساً: دراسة النصّ القرآني في معانيه المركبة، وذلك بطريق العلوم الأدبية من نحوٍ وبلاغة.

من نَحْوٍ.. على أنّه أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده.

ومن بلاغةٍ.. على أنها هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني، مع التأملات العميقة في التراكيب والأساليب القرآنية لمعرفة كل منها، ولمعرفة فنون القول القرآني وموضوعاته.

تلكم هي أبرز الخطوات التي رسمها الأستاذ أمين الخولي للتفسير البياني[1].

إلا أن هذه الخطوات ظلت مجرد نظرية ولم تخرج بعدُ دراسة تطبيقية كاملة لهذا المنهج، وكلّ ما صدر من مؤلفات حتى لأمين الخولي نفسه، إنما هي محاولات جُزئية بعيدة عن الهدف واعترف هو نفسه بقصوره وعدم قدرته على ذلك قائلاً: «وأولى لنا أن نؤثر هذه الحقيقة على أنّ نكذب على أنفُسنا وعلى الأجيال فنزعم الكفاية الكاملة، والقدرة الموفورة، ولئن لم يكن لنا من الكمال إلا الشعور بالنقص فذلك أجمل بنا من التزيد الزائف»[2].

وإذا كان الأمر كذلك فإن من **المؤلفات القليلة في هذا المنهج**:

١ ـ من هدي القرآن: القادة والرسل.

٢ ـ من هدي القرآن: في رمضان.

٣ ـ من هدي القرآن: في أموالهم.

٤ ـ من هدي القرآن: السلام والإسلام.

---

(١) من كتاب (التفسير معالم حياته، منهجه اليوم) للأستاذ أمين الخولي ص٣٥ ـ ٤٤.

(٢) التفسير معالم حياته منهج اليوم: ص٤٦ ـ ٤٧.

٥ ـ من هدي القرآن: القرآن والحياة.

٦ ـ من هدي القرآن: الحكم بما أنزل الله.

وكل هذه وغيرها مؤلفات للأستاذ أمين الخولي.

٧ ـ التفسير البياني للقرآن الكريم.

٨ ـ مقال في الإنسان (دراسة قرآنية).

٩ ـ الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية).

١٠ ـ القرآن وقضايا الإنسان.

وكلها مؤلفات للدكتورة عائشة عبدالرحمٰن.

وهذه المؤلفات وغيرها كما قلت ليست إلا تطبيقاً جُزئياً لهذا المنهج ولا زال هذا المنهج بعيداً عن التطبيق الكامل.

ثامناً: منهج التذوق الأدبي:

التذوق للقرآن الكريم حركة نفسية، وانطباع ذاتي، لا يملك الإنسان له رداً، ولا يستطيع له منعاً، بل لا بد أن يظهر أثره في خلجات سامعة وسكناته شاء ذلك أم أبى.

ونقصد بهذا معنى دقيقاً يشعرُ به كُلّ من يواجه النصوص القرآنية ابتداءً وينسكب في حِسّه بمُجرّد الاستماع لهذا القرآن، وقد يستطيع أن يَصِف هذه القِيَم الشعورية بكلمات، وقد لا يستطيع، ويرجع هذا إلى الصلة بين القيم الشعورية والقيم التعبيرية، فقد تجتاح الإنسان مشاعر لا يجد في الكلمات كلّها ما يستطيع التعبير عنها، ولذلك حين استمع نفر من الجن إلى القرآن لم يجدوا من الكلمات في وصف ما شعروا به إلا أنه عجباً.

وهذا سيد قطب رحمه الله تعالى يُبينُ هذا المعنى فيقول:

«إن في هذا القرآن سراً خاصاً يشعر به كلّ من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها، إنه يشعر بسلطان خاص في

عبارات هذا القرآن، يشعر أنّ هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يُدركها العقل من التعبير، وأنّ هنالك عنصراً ما ينسكب في الحسّ بمُجرد الاستماع لهذا القرآن»[1].

ولذلك فإنّ من المشاعر التي تنسكب في حِسّ مُستمع القرآن ما لا يُستطاع التعبيرُ عنه بالكلمات، وهذا سيد قطب ـ وحسبك به ـ يعترف باستحالة ذلك فيقول:

«إن إيقاع هذا القرآن المباشر في حِسّي محال أن أترجمه في ألفاظي وتعبيراتي، ومن ثمّ أحِسُّ دائماً بالفجوة الهائلة بين ما استشعره منه وما أترجمه للناس في هذه الظلال»[2].

وليس من السهل أنْ نُكبّل المُفسر وقد انسكبت في داخله هذه المشاعر وهذه الأحاسيس فنمنعه من التعبير عنها بما يراه من الكلمات ما دام لم يخرج عن معاني النصوص ودلالاتها، وما دام لم يشطح في ألفاظه.

ونستطيع أنْ نقول بعد هذا أنّ التذوق الأدبي للقرآن الكريم يقوم على الموازنة بين (الذات) و(الموضوع).

فللذات حقها في جانب الاستغراق في النصّ والشعور به، بحيث لا يَصِلُ إلى الاستغراق الصوفي التام الذي يطغى على النص وينبُذُ المعاني الظاهرة.

وللموضوع حقه في التزام مدلوله اللغوي، وحدوده الشرعية، والتنبيه الدقيق إلى المعنى الصحيح السليم، والتزام أبعاد معانيه ومدلولاته بحيث لا يتجاوزها فيشطح.

إنّ الموازنة بين الذات والموضوع هي التي تستقر بصاحبها في ميدان التذوق الأدبي، وبقدر التوازن يكون الاستقرار والثبات والسلامة.

---

(١) في ظلال القرآن: لسيد قطب، ٣٣٩٩/٦.

(٢) في ظلال القرآن: لسيد قطب، ٢٠٣٨/٤.

فإنْ طغت الذات على الموضوع خرج عن نطاقه إلى نطاق التفسير الصوفي الذي يعتمد على الأوهام أكثر مما يعتمد على الحقائق.. وجَنحَ بصاحبه إلى الخيال الجارف الذي لا يعتمد على قواعد ثابتة ولا أصول راسخة، بل يموج ويضطرب كما تضطرب الريشة في الهواء، ومن هنا نفذ الباطنيون إلى الإلحاد في تفسير القرآن الكريم حيث لا ارتباط بالنص ولا بمدلوله، بل انسلاخ منه.. وانسلاخ من الدين.

وإنْ طغى الموضوع على الذات خرج عن نطاق التذوق الأدبي إلى نطاق التفسير العلمي البحت وضاقت جوانب جذبات النفس، وارتباطها بالنص وأصبح المفسر والنصُّ كتلتين منفصلتين لا تمازج بينهما، ولا تجاذب وحينئذ يكاد المفسر أن يكون مجرد آلة لا تفاعل بينها وبين معمولها(١).

وقد وفق الله الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى فألف تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم على هذا الوجه من التفسير الذي شَقّ طريقه، وهو الذي وضع معالمه، وهو الذي قام به فلم يكد يُعرف إلا به، ولم يكد يسلكه أحد من بعده.



(١) انظر: كتابي (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر) ٩٨٣/٣ ـ ٩٨٤.

إعراب القرآن الكريم

تعريفه:

الإعراب لغة: الإبانة يقال أعرب الكلام: بَيّنه وفي الحديث: «**الثَّيِّبُ تعرب عن نفسها**»[1]، أي: تفصح وتبين ويقال: امرأة عربة وعروب وهي التي تبين وتظهر حبها لزوجها. وعَرّب منطقه، أي: هَذّبه من اللحن، والإعراب الذي هو النحو: إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب[2].

وعند النحويين: اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل لفظاً وتقديراً[3]، ولا يعرف الإعراب في اللغات العصرية إلا في العربية والحبشية والألمانية[4].

أما إعراب القرآن الكريم اصطلاحاً: فهو ضبط كلماته، والبعد عن اللحن في نطقها حتى يظهر معناها الصحيح[5].

أهمية هذا العلم:

تظهر مكانة هذا العلم لكون الإعراب يبين المعنى، ويميز المعاني،

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١٦٢/٤، وابن ماجه في سننه ٦٠٢/١.

(٢) لسان العرب: مادة (عرب) ٥٨٩/١.

(٣) التعريفات: للجرجاني ص٤٧، ومعجم القواعد العربية: لعبدالغني الدقر ص٦٦.

(٤) المعجم الأدبي: لجبور عبدالنور ص٢٧.

(٥) الإتقان: للسيوطي ١٧٥/٢ (ط.الحلبي).

ويوقف على أغراض المتكلمين، ولا يمكن أن يفهم النص القرآني الفهم الصحيح ما لم ينطق بكلماته النطق الصحيح، والإعراب هو سبيل النطق الصحيح بالكلمات القرآنية. ولذا روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «أعربوا القرآن يدلكم على تأويله»[1].

ويروى أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقال: من يقرؤني شيئاً مما أنزل الله على محمد ﷺ؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال: إن الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الأعرابي فدعاه فأخبره الأعرابي بالقصة فقال عمر رضي الله عنه: ليس هكذا يا أعرابي. فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿...أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ...﴾[2]. فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم. فأمر عمر رضي الله عنه: أن لا يُقرئ القرآن إلا عالم باللغة[3].

وقال يحيى بن عتيق: قلت للحسن: يا أبا سعيد: «الرجلُ يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق، ويقيم بها قراءته؟ قال: حسن يا ابن أخي فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها»[4].

وقال مكي بن أبي طالب: «رأيت أعظم ما يجب على طالب علوم القرآن الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته وأفضل ما القارئ إليه محتاج: معرفة إعرابه»[5].

وقال العكبري: وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه ويتوصل به إلى تبيين أغراضه ومغزاه معرفة إعرابه[6].

---

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة: ٦/١١٦.

(٢) سورة التوبة، من الآية: ٣.

(٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: للأنباري ص١٩ ـ ٢٠.

(٤) الإتقان: للسيوطي ١/١٧٩.

(٥) مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب ١/٦٣.

(٦) التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء العكبري ١/١.

وقال ابن عطية الأندلسي: إعراب القرآن أصل في الشريعة لأنه بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع[1].

نشأته وتطوره:

لما اتسعت الفتوحات الإسلامية اختلط العرب بالأمم الأعجمية، ودخل كثير من هذه الأمم في الإسلام وكان بين العرب العجم اختلاط واشتراك فظهرت عوامل الفساد في لسان بعض العرب وسُمع اللحن في التخاطب.

ويعتبر اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها، فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هَبّ على صوته أولو الغيرة على العربية والإسلام[2].

فقد دعا زياد بن سمية ـ وكان والياً على البصرة ـ أبا الأسود الدؤلي وقال له: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء (يعني: العجم) قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس ويعرب به كتاب الله. فأبى أبو الأسود. حتى سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالكسر فقال: عَزّ وجه الله أن يبرأ من رسوله، ورجع من فوره إلى زياد فقال: قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن فابعث إلى ثلاثين رجلاً فأحضرهم زياد فاختار منهم رجلاً من عبد القيس فقال له أبو الأسود: خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد فإذا فتحت شفتي فانقط نقطة واحدة فوق الحرف، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف[3].

فنشأ بذلك علم إعراب القرآن، ومنه نشأ علم النحو وإنما أنشئ هذا

---

(١) المحرر الوجيز: لابن عطية ١/٤٠.

(٢) من تاريخ النحو: لسعيد الأفغاني ص٨.

(٣) الفهرست: لابن النديم ص٦٠، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء: لابن الأنباري ص٢٠.

العلم للمحافظة على القرآن الكريم من أن يقع اللحن في كلماته، ثم اتسعت رقعته فألف فيه المؤلفون ودرسه الدارسون.

ما يجب على المعرب معرفته:

ويجب على من أراد خوض عباب هذا العلم أمور عدة أهمها:

الأول: وهو أول واجب عليه: أن يفهم معنى ما يريد إعرابه مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب، فإن الإعراب فرع المعنى، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه[١]، ويختلف الإعراب باختلاف التفسير.

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾[٢]، فإن المتبادر تعلق (إلى) بـ (تكتبوه) وهو فاسد، لاقتضائه استمرار الكتابة إلى أجل الدين وهذا لا يصح وإنما هو حال أي: مستقراً في الذمة إلى أجله[٣].

ونظيره قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾[٤]، فإن المتبادر انتصاب (مائة) بـ (أماته) وذلك ممتنع لأن الإماتة سلب الحياة وهي لا تمتد، والصواب أن يضمن (أماته) معنى ألبثه فكأنه قيل: فألبثه الله بالموت مائة عام[٥]... ولذا قال: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾[٦].

ومثاله إعراب كلمة «أحوى» من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾[٧]، وفيه قولان متضادان:

---

(١) مغني اللبيب: لابن هشام ٥٢٧/٢ ـ ٥٢٨ والبرهان: للزركشي ٢١٢/١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٣) مغني اللبيب: لابن هشام ٥٣٠/٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
(٥) مغني اللبيب: لابن هشام ٥٣٠/٢، وذكر أمثلة كثيرة لهذا النوع.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
(٧) سورة الأعلى، الآيتان: ٤ ـ ٥.

الأول: أنه الأسود من الجفاف واليبس فهو صفة لـ «غثاء».

والثاني: أنه الأسود من شدة الخضرة كما فسر ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾[1] فهو حال من المرعى، وأخر لتناسب الفواصل[2].

ومن أمثلته - أيضاً - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾[3]، إن كان المراد به القرآن فـ (من) للتبعيض و(القرآن) حينئذ من عطف العام على الخاص وإن كان المراد به الفاتحة فـ (من) لبيان الجنس أي: سبعاً هي المثاني.

الثاني: تجنب الأعاريب المحمولة على اللغات الشاذة فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش، قال الطبري - رحمه الله تعالى -: «كتاب الله - جلَّ ثناؤه - نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم، ووجه معروف»[4].

وقال أبو حيان: «ينبغي أن يحمل كتاب الله على أحسن إعراب، وأحسن تركيب، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام، فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشَّمَّاخ والطرمَّاح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة»[5]. وقال أيضاً: وعادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه وأبعدها من التكلف وأسوغها في لسان العرب، ولسنا كمن جعل كتاب الله تعالى كشعر امرئ القيس وشعر الأعشى، يحمله على جميع ما يحتمله اللفظ من وجوه الاحتمالات، فكما أن كلام الله من أفصح الكلام فكذلك ينبغي إعرابه على

---

(١) سورة الرحمٰن، الآية: ٦٤.

(٢) انظر: مشكل إعراب القرآن: ٨١٣/٢، والكشاف: ٧٤٠/٤، والبحر المحيط ٤٥٣/٨، ومغني اللبيب ٥٣٥/٢.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٤) جامع البيان: للطبري: ٣١١/١٢.

(٥) البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي ٥/١ و١٠٣/١.

أفصح الوجوه»[1].

وقال الزمخشري: «القرآن لا يعمل فيه إلا على ما هو فاشٍ دائرٍ على ألسنة فصحاء العرب، دون الشاذ النادر الذي لا يعثر عليه إلا في موضع أو موضعين»[2].

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾[3] على قراءة الجر، حيث غلط جماعة من الفقهاء والمعربين حين جعلوا ذلك من العطف على الجوار وذلك لا يكون إلا لضرورة ولا يحمل عليه الفصيح، ولأنه لا يصار إليه إلا إذا أُمِنَ اللبس والآية هنا محتملة، ولأنه إنما يجيء إذا عدم حرف العطف وهو هنا موجود، قال السمين الحلبي: «وأما قراءة الجر ففيها أربعة تخاريج؛ أحدها: أنه منصوب في المعنى عطفاً على الأيدي المغسولة، وإنما خفض على الجوار كقولهم: «هذا جحرُ ضبٌّ خربٍ» بجر خرب وكان من حقه الرفع لأنه صفة في المعنى للجحر لصحة اتصافه به والضب لا يوصف به، وإنما جُرَّ على الجوار... ثم قال السمين: إلا أن التخريج عليه ضعيف، لضعف الجوار من حيث الجملة، وأيضاً فإن الخفض على الجوار إنما ورد في النعت لا في العطف... وإذا لم يرد إلا في النعت أو ما شذ من غيره فلا ينبغي أن يخرج عليه كتاب الله تعالى»[4].

والإعراب الصحيح أن يقال: أن العرب يقرب عندها المسح من الغسل لأنهما أساس الماء فلما تقاربا في المعنى حصل العطف كقوله[5]:

متقلداً سيفاً ورمحا

---

(1) المرجع السابق: ٦١/١، وانظر ما كتبه الدكتور عبدالرحمٰن الشهري في رسالته للدكتوراه الشاهد الشعري ص٧٩٢ ـ ٧٩٣.

(2) البرهان: للزركشي ٢١٣/١.

(3) سورة المائدة، من الآية: ٦.

(4) الدر المصون: للسمين الحلبي ٢١٠/٤ ـ ٢١١.

(5) البيت لعبدالله بن الزبعرى، انظر: ديوانه ص٣٢، وأمالي المرتضى ٢٦٠/٢.

وكقوله[1]:

علفتها تبناً وماءً بارداً حتى شتت همالة عيناها

وإذا أمكن المشاركة في المعنى حسن العطف وإلا امتنع فظهر أنه ليس على المجاورة بل على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر[2].

ومن الأمثلة - أيضاً - من قال في قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَآ﴾[3]، أن الوقف على «جناح» و«عليه» إغراء. وهذا لا يصح لأن إغراء الغائب ضعيف بخلاف القول في ﴿عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ﴾[4] فإنه حسن لأن إغراء المخاطب فصيح[5].

ومن الأمثلة: في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾[6]. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجازها مجاز القسم كقولك: والذي أخرجك ربك. فجعل (الكاف) حرف قسم بمعنى (الواو). وقد رد الأئمة هذا القول وأنكروا ورود الكاف بمعنى واو القسم في لغة العرب[7].

الثالث: أن يكون ملماً بالعربية لئلا يخرج على ما لم يثبت:

كقول ابن مهران في قراءة: «إن البقر تّشابهت» بتشديد التاء[8] إنه

---

(١) لا يعرف قائله ونسبه الفراء لبعض بني أسد وقيل: لذي الرمة. الطبري ٢٦٤/١.
(٢) البرهان: للزركشي ٢١٣/١ - ٢١٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.
(٥) الإتقان: للسيوطي ص٤٣٦، ومغني اللبيب: ٥٥٠/٢.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٥.
(٧) انظر: إملاء ما من به الرحمٰن: العكبري ٣/٢، والبحر المحيط: لأبي حيان ٤٥٦/٤، والدر المصون: للسمين الحلبي ٥٦٠/٥.
(٨) كذا بتشديد التاء إلا أن أبا حيان ذكر أنها بتشديد الشين ووجه القراءة وخرجها تخريجاً وافياً ونسبها لأبي إسحاق وأن صحة القراءة (إن البقرة اشّابهت) فظن من سمعها أن تاء البقرة هي تاء الفعل إذ النطق واحد فتوهم أنه قرأ (تشابهت) وهذا لا يظن بأبي إسحاق فإنه رأس في علم النحو. البحر المحيط ٢٥٤/٢.

من زيادة التاء في أول الماضي، ولا صحة لهذه القاعدة، وإنما أصل القراءة (إن البقرة) بتاء الوحدة ثم أدغمت في تاء (تشابهت) فهو إدغام من كلمتين[1].

الرابع: أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة:

ففي قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[2]، يجوز كون «الأعلى» صفة للرب، أو صفة للاسم[3].

الخامس: تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى أو التكرار:

فإن لفظ الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له، فلا يجوز إطلاقه إلا بتأويل فقولهم: الباء زائدة ونحوه مرادهم أن الكلام لا يختل معناه بحذفها لا أنه لا فائدة فيه أصلاً فإن ذلك لا يحتمل من متكلم فضلاً عن كلام الحكيم[4] وعبر عنه بعضهم بالتأكيد[5].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولا يذكر فيه لفظاً زائداً إلا لمعنى زائد، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، ومما يجيء من زيادة اللفظ في مثل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[6][7] فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه، فزيادة اللفظ لزيادة المعنى وقوة اللفظ لقوة المعنى»[8].

---

(١) الإتقان: للسيوطي ص٤٣٥، ومغني اللبيب: لابن هشام ٥٤٧/٢.
(٢) سورة الأعلى، الآية: الأولى.
(٣) الإتقان: للسيوطي ص٤٣٦.
(٤) البرهان: للزركشي ٢١٤/١.
(٥) الإتقان: للسيوطي ص٤٣٩.
(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.
(٧) حيث زعم بعضهم أن (ما) في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ زائدة.
(٨) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٥٣٧/١٦.

السادس: أن يراعي الرسم:

ومن ثَمَّ خُطِّيء من قال في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾[1]، أن (سلسبيلاً) جملة أمرية، أي: سل طريقاً موصلة إليها. لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة[2].

وخطئ ابن الطراوة في قوله في: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾[3] هم أشد: مبتدأ وخبر، وأي: مضافة لمحذوف. قال ابن هشام: ويدفعه رسم (أيهم) متصلة، وأن أياً إذا لم تضف أعربت باتفاق[4].

السابع: قد يتجاذب المعنى والإعراب الشيء الواحد بأن يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر، والإعراب يمنع منه، والمتمسك به صحة المعنى، ويؤول لصحة الإعراب[5].

قال ابن جني: «هذا موضع كان أبو علي - رحمه الله تعالى - (يقصد شيخه الفارسي) يعتاده، ويُلِمُّ كثيراً به، ويبعث على المراجعة له وإلطاف النظر فيه، وذلك أنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاماً ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب»[6].

ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾﴾[7]. فالظرف الذي هو (يوم) يقتضي المعنى أنه يتعلق بالمصدر وهو (رجع) أي:

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ١٨.

(٢) ولا شك أن هذا من بدع التفاسير والانحراف فيه. انظر: الكشاف ٦٧٢/٤ - ٦٧٣، وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٣٩٠/٨: «يجب طرحه من كتب التفسير». وانظر الإتقان: ص٤٣٨.

(٣) سورة مريم، الآية: ٦٩.

(٤) مغني اللبيب: لابن هشام ٥٩٦/٢.

(٥) البرهان: للزركشي ٢١٦/١.

(٦) الخصائص: ابن جني ٢٥٨/٣.

(٧) سورة الطارق، الآيتين: ٨ - ٩.

أنه على رجعه في ذلك اليوم لقادر، ولكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله. فنحتال للإعراب بجعل العامل فيه فعلاً مقدراً هو (يرجعه) يعني: يرجعه يوم تبلى. ودل عليه المصدر (رجعه) ودَلّ رجعه على يرجعه دلالة المصدر على فعله[1].

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾[2]. قال ابن جني: فـ (إذ) هذه في المعنى متعلقة بنفس قوله: «لمقت الله»، أي يقال لهم: لمقت الله إياكم وقت دعائكم إلى الإيمان فكفركم، أكبر من مقتكم أنفسكم الآن، إلا أنك إن حملت الأمر على هذا كان فيه الفصل بين الصلة التي هي (إذ) وبين الموصول الذي هو (لمقت الله) فإذا كان المعنى عليه ومنع جانبُ الإعراب منه أضمرت ناصباً يتناول الظرف ويدل المصدر عليه حتى كأنه قال بآخره: «مقتكم إذ تدعون»[3].

وقد يقع في كلامهم هذا تفسير معنى، وهذا تفسير إعراب، والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية، وتفسير المعنى لا تضره مخالفة ذلك[4].

أهم المؤلفات فيه:

والمؤلفات في هذا العلم كثيرة سلك مؤلفوها اتجاهات مختلفة فمنهم من اقتصر على إعراب القرآن ومشكله مثل مكي، ومنهم من عرض لإعراب غريب القرآن كابن الأنباري في كتابه (البيان في إعراب غريب القرآن) ومنهم من جمع بين أوجه القراءات والإعراب مثل: (معاني القرآن) للفراء (والمحتسب) لابن جني و(الحجة) لابن فارس[5].

---

(١) الخصائص: ابن جني ٣/٢٥٨ ـ ٢٥٩.
(٢) سورة غافر، الآية: ١٠.
(٣) الخصائص: لابن جني ٣/٢٥٩.
(٤) الإتقان: للسيوطي: ص٤٣٩.
(٥) انظر: مقدمة التبيان في إعراب القرآن: للعكبري ص: (ج) و(د). تحقيق علي البجاوي.

وممن ألف في هذا العلم:

١ ـ أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت٣٣٨هـ) وكتابه (إعراب القرآن) طبع في ثلاثة أجزاء كبار بتحقيق الدكتور زهير غازي زاهد.

٢ ـ مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) وكتابه (مشكل إعراب القرآن) طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور حاتم الضامن.

٣ ـ أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) واسم كتابه (التبيان في إعراب القرآن) طبع في مجلدين بتحقيق علي البجاوي.

٤ ـ الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: بهجت عبدالواحد صالح طبع في ١٢ مجلداً.

٥ ـ الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: محمود صافي طبع في ١٦ مجلداً.

والمؤلفات غير هذا كثيرة كما قال السيوطي: «أفرده بالتصنيف خلائق منهم مكي وكتابه في المشكل خاصة، والحوفي وهو أوضحها، وأبو البقاء العكبري وهو أشهرها، والسمين وهو أجلها على ما فيه من حشو وتطويل»[(١)].



(١) الإتقان: للسيوطي ١/١٧٩.

غريب القرآن الكريم

كلمات القرآن الكريم على قسمين:

قسم يكاد يشترك في فهمه عامة الناس وخاصتهم كمدلول: السماء والأرض وفوق وتحت.

وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية كالدلوك والسرمد والضريع وعزين وهو الذي صنف العلماءُ الكتب في تفسيره وبيانه وسموه: (غريب القرآن الكريم)[1].

١ ـ تعريفه:

الغريب لغة: معنى (غَرَبَ): بَعُدَ، و(الغَرْبُ): النوى والبعد[2]، و(الغريب): الغامض من الكلام[3].

قال الخطابي: الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم، كالغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل، ومنه قولك للرجل إذا نحيته وأقصيته: أغرب عني، أي: أبعد»[4].

وفي الاصطلاح:

علم غريب القرآن هو: العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في

---

(١) انظر: تحفة الأريب في تفسير الغريب: لأبي حيان الأندلسي ص٢٧.

(٢) انظر: لسان العرب: لابن منظور. مادة: غرب.

(٣) العين: للخليل بن أحمد، ٤/٤١١.

(٤) غريب الحديث: للخطابي ص١٢.

القرآن الكريم وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم[1].

٢ ـ موضوعه:

الكلمات الغامضة التي تحتاج إلى تفسير وبيان في القرآن الكريم.

أهميته:

معرفة هذا العلم أمر ضروري للمفسر لا بد منه، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم»[2].

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب»[3].

وقال مجاهد بن جبر ـ رحمه الله تعالى ـ: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب»[4].

وقال مالك بن أنس ـ رحمه الله تعالى ـ: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله تعالى غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً»[5].

---

(١) مقدمة تحقيق العمدة في غريب القرآن: لمكي بن أبي طالب، تحقيق: يوسف المرعشلي ص١٤.

(٢) تفسير القرطبي ١١١/١٠ والفتح السماوي: المناوي ٧٥٥/٢ وقال: لم أقف عليه، وقال ابن حجر في الفتح ٣٦٨/٨: «وروي بإسناد فيه مجهول عن عمر» ثم قال: «وفي شعر أبي كبير الهذلي ما يشهد له» وورد نحوه عن ابن عباس في المستدرك ٤٩٩/٢، وعند البيهقي في الأسماء والصفات ص٣٤٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٢٠٥/١. والإتقان: للسيوطي ١١٩/١. وأخرجه عنه ابن خالويه في إعراب القراءات وعللها ٢٩/١، وسعيد بن منصور في سننه ٣١٧/٢ بلفظ: «إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب» ورواه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٢٠٥/١.

(٥) شعب الإيمان: للبيهقي ٢٣٢/٥، وذم الكلام: لأبي ذر الهروي ص٢١٢، والبرهان: للزركشي ٢٠٥/١.

وأخرج البيهقي عن أبي الزناد عن أبيه قال: «ما تزندق من تزندق بالشرق إلا جهلاً بكلام العرب»(١).

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله ﷺ بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عيه، ولا يكون الأمر كذلك»(٢).

وقال ابن فارس: إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جَلَّ وعَزَّ وما في سنة رسول الله ﷺ من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بداً»(٣).

وقال الشاطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: «لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة وإن لم يكن ثَمَّ عرف فلا يصح أن يجري في فهمها ما لا تعرفه وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب»(٤).

ورد أبو الوليد بن رشد على من قال: «إنه لا يحتاج إلى لسان العرب: هذا جاهل فلينصرف عن ذلك، وليتب منه فإنه لا يصلح شيء من أمور الديانة والإسلام إلا بلسان العرب يقول الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾(٥). إلا أن يُرى

---

(١) الفرائد الجديدة: للسيوطي ١٦/١.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع عبدالرحمٰن بن قاسم وابنه محمد ١١٦/٧.
(٣) فقه اللغة: للصاحبي ص٥٠.
(٤) الموافقات: للشاطبي ٥٦/٢.
(٥) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣ ـ ١٩٥.

أنه قال ذلك لخبث في دينه فيؤدبه الإمام على قوله ذلك بحسب ما يرى فقد قال عظيماً»[١].

وقال ابن عقيل: «ولأن القرآن نزل بلغتهم فوجب تفسير ما أغلق منه على غيرهم بشواهد لغتهم من نثرهم وأشعارهم وخطبهم»[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنت أدري ما قوله تعالى: ﴿... رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾[٣] حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميري وهي تقول: أفاتحك، يعني: أقاضيك[٤].

وقال أيضاً: ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يعني: ابتدأتها[٥].

وجاءه رجل من هذيل فقال له ابن عباس: ما فعل فلان؟ قال: مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء. فقال ابن عباس: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾[٦]. قال: ولد الولد[٧].

وعلم اللغة ومعرفة غريبها ضروري لمعرفة التفسير ولهذا عقد الخطابي رحمه الله تعالى في كتابه (غريب الحديث) باباً بعنوان (القول فيما يجب على من طلب الحديث من تعلم كلام العرب وتعرف مذاهبها ومصارف وجوهها)[٨].

ومثل هذا يقال في معرفة غريب القرآن الكريم فإن الخطأ فيه يوقع في الخطأ في التفسير والبعد عن الصواب حتى من الكبار فقد سئل أبو العالية

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور ٢٠/١.
(٢) الواضح: لابن عقيل ٦٤/١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.
(٤) البرهان: للزركشي ٢٠٥/١.
(٥) المرجع السابق: ٢٠٥/١.
(٦) سورة هود، من الآية: ٧١.
(٧) البرهان: للزركشي: ٢٠٥/١.
(٨) غريب الحديث: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ٥٣/١.

الرياحي عن معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝﴾[1]. فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر، قال الحسن: مَهْ يا أبا العالية! ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم ألا ترى قوله: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ فلما لم يتدبر أبو العالية حرف (في) و(عن) تنبه له الحسن إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: «**في صلاتهم**»، **فلما قال:** ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ دَلّ على أن المراد به الذهاب عن الوقت[2].

ومن ذلك ما قاله ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ...﴾[3]، أنه من عشوت اعشوعشوا: إذا نظرت. وغلطوه في ذلك، وإنما معناه: يُعْرِضُ، وإنما غلط لأنه لم يفرق بين عشوت إلى الشيء وعشوت عنه[4].

وأخطأ الأخفش الأوسط في تفسير ﴿نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾[5]. ففسرها بالقدرة[6]، فرد عليه أبو حاتم السجستاني بقوله: «ولم يدر الأخفش ما معنى: (نقدر) وذهب إلى موضع القدرة، إلى معنى: (فظن أن يفوتنا) ولم يعلم كلام العرب حتى قال: إن بعض المفسرين قال: أراد الاستفهام، أفظن أن لن نقدر عليه؟ ولو علم أن معنى (نقدر): نُضَيِّق، لم يخبط هذا التخبط، ولم يكن عالماً بكلام العرب، وكان عالماً بقياس النحو، وبين الأزهري الصواب فقال: والمعنى: ما قدره الله عليه من التضييق في بطن

---

(١) سورة الماعون، الآية: ٥.

(٢) البرهان: للزركشي ٢٠٦/١.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

(٤) البرهان: للزركشي ٢٠٦/١.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٦) معاني القرآن: للأخفش ٤٤٩/٢.

الحوت، كأنما قال: ظن أن لن نضيق عليه.. فأما أن يكون قوله: «فظن أن لن نقدر عليه» في القدرة فلا يجوز لأن من ظن هذا كفر، والظن شك والشك في قدرة الله كفر وقد عصم الله أنبياءه عن مثل ما ذهب إليه هذا المتأول ولا يتأوله إلا جاهل بكلام العرب ولغاتها»[١].

وقد يؤدي الخطأ في ذلك إلى خطأ في العقيدة فقد فسر الأخفش النظر في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[٢]، بقوله: «يعني والله أعلم بالنظر إلى الله إلى ما يأتيهم من نعمه ورزقه، وقد تقول: «والله ما أنظر إلا إلى الله وإليك، أي: انتظر ما عند الله وعندك»[٣]. قال الأزهري: «أخطأ لأن العرب لا تقول: نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته إنما تقول نظرت فلاناً، أي: انتظرته ومنه قول الحطيئة:

وقد نَظَرْتُكم أبناءَ صادرةٍ ... للوِرْدِ طال بها حَوْزِي وتَنْسَاسي[٤]

فإذا قلت: «نظرت إليه لم يكن إلا بالعين»[٥].

وأخطأ عمرو بن عبيد إمام المعتزلة حين جاء إلى أبي عمرو بن العلاء أحد أئمة القراءات فقال: أفرأيت من وعده الله على عمله عقاباً يخلف وعده فيه؟! فقال أبو عمرو بن العلاء: أَمِنَ العجمة أُتيتَ أبا عثمان؟ إن الوعد غير الوعيد... والله عزَّ وجلَّ إذا وعد وَفَّى، وإذا أوعد ثم لم يفعل كان ذلك كرماً وتفضلاً. وإنما الخُلْفُ أن تَعِدَ خيراً ثم لا تفعله. قال: وأجد هذا في كلام العرب؟ قال: نعم، أما سمعت قول الأول: يعني: عامر بن الطفيل:

---

(١) انظر: تهذيب اللغة: للأزهري ٣٩/٩.
(٢) سورة القيامة، الآية: ٢٣.
(٣) معاني القرآن: للأخفش ٥٥٨/٢.
(٤) ديوان الحطيئة: ص٤٦ مع اختلاف في الرواية والحوز والتنساس بمعنى وهو: السَوْق، وقيل التنساس: العطش، أي: سوقي وعطشي.
(٥) تهذيب اللغة: للأزهري ٣٧١/١٤.

وإنـــي وإن أوعــدتـــه أو وعــدتـــه   لمخلف إيعادي ومنجز موعدي[1][2]

وأخطأ أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾[3] حيث قال: فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق ومنه: «دم فراغ»؛ أي: لا قود فيه ولا دية. وقال بعض الأدباء: أخطأ أبو عبيدة في المعنى، لو كان قلبها فارغاً من الحزن عليه لما قال: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾[4] لأنها كادت تبدي به[5]. والمعنى الصحيح أنها لشدة حزنها ليس في قلبها شيء سوى ذكر ابنها وهمه، كقولهم تفرغ للعبادة إذا انقطع لها.

قال الزركشي رحمه الله تعالى معقباً على هذه الأخبار: «وهذا الباب عظيم الخطر ومن هنا تهيّب كثير من السلف تفسير القرآن وتركوا القول فيه حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين»[6].

٣ ـ نشأته وتطوره:

كان ﷺ أفصح الناس لساناً، وأوضحهم بياناً يخاطب الوفود بما يفهمون، ويكلمهم بما يعرفون، وهذه طريقة القرآن في الخطاب وقد كان خلقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ القرآن.

وكان الصحابة رضي الله عنهم وهم أهل اللسان العربي يدركون قوله ويفهمون معناه واستمر الأمر على هذا الحال إلى أن فتحت البلدان واتسعت

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ص٥٨.
(٢) إنباه الرواة ١٣٩/٤، وإعراب القراءات السبع وعللها: لابن خالويه ٥٤/١، وطبقات النحويين واللغويين ص٣٩، وتاريخ بغداد ١٧٥/١٢.
(٣) سورة القصص، من الآية: ١٠.
(٤) سورة القصص، من الآية: ١٠.
(٥) البرهان: للزركشي ٢٠٧/١.
(٦) المرجع السابق: ٢٠٧/١.

رقعة البلاد الإسلامية فاختلط العرب بالروم والفرس والأحباش والأقباط والبربر وغيرهم من الشعوب فشابت الأذواق شوائب، فالتبست عليهم بعض الألفاظ، وغمض عليهم بعض المعاني.

والغموض في فهم ألفاظ القرآن يزداد بمرور الزمن فالغريب في عصر نزول الوحي كان قليلاً جداً ثم لم تزل الحاجة إلى معرفة ألفاظ القرآن تزداد شيئاً فشيئاً.

ولذا كانت المصنفات في غريب القرآن صغيرة الحجم وجيزة العبارة ثم لم تزل تزداد حجماً، ولذا ـ أيضاً ـ قَلّت المفردات المروية عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ثم ازدادت عند زيد بن علي رحمه الله تعالى (ت١٢٠هـ)، ثم زادت عند أبي عبيدة (ت٢١٠هـ)، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) وغيرهم واستمرت الزيادة حتى شملت جل ألفاظ القرآن عند الأصبهاني وجاء من بعده السمين الحلبي الذي أخذ على الأصبهاني إغفاله بعض مفردات القرآن[١].

فاتجهت أنظار طائفة من العلماء في كل عصر لتفسير ما يحتاج إليه أبناء عصرهم من ألفاظ القرآن والحديث. وسمي هذا العلم (غريب القرآن) و(غريب الحديث).

ولم تكن هذه التسمية لهذا العلم هي الوحيدة في أول الأمر بل كان يسمى:

١ ـ معاني القرآن:

قال ابن الصلاح: «وحيث رأيت في كتب التفسير قال أهل المعاني فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج ومن قبله... وفي بعض كلام الواحدي: أكثر أهل المعاني: الفراء والزجاج وابن الأنباري قالوا كذا...»[٢].

---

(١) الشاهد الشعري: د.عبدالرحمٰن بن معاضة الشهري ص٥٦٥.

(٢) البرهان: للزركشي ٢٠٤/١، والإتقان: للسيوطي ص٢٨٥.

٢ ـ إعراب القرآن:

وقد ورد في الحديث: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»[١]. قال السيوطي: «المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن»[٢].

٣ ـ مجاز القرآن:

وليس المراد به (المجاز) عند علماء البلاغة وإنما المراد معاني ألفاظه ولذا فإن أبا عبيدة في كتابه (مجاز القرآن) يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات (مجازه كذا) و(تفسيره كذا) و(معناه كذا) و(غريبه) و(تقديره) و(تأويله) على أن معانيها واحدة أو تكاد ومعنى هذا أن كلمة (المجاز) عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة (المجاز) فيما بعد[٣].

واختلف في أول من ألف في هذا العلم فقيل:

١ ـ ابن عباس رضي الله عنهما في إجاباته على أسئلة نافع بن الأزرق وقد جاوزت المئتين وخمسين سؤالاً. وقد ضمن السيوطي أكثرها كتابه الإتقان[٤] ولا تصح نسبة أكثرها إليه رضي الله عنه.

٢ ـ وقيل أبان بن تغلب البكري (ت١٤١هـ) في كتابه (غريب القرآن). قال ياقوت الحموي في ترجمة أبان بن تغلب: صنف كتاب الغريب في القرآن. فذكر شواهده من الشعر فجاء فيما بعد عبدالرحمٰن بن محمد الأزدي الكوفي فجمع من كتاب أبان ومحمد بن السائب وأبي روق عطية بن

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤٣٩/٢، وقال الذهبي: أجمع على ضعفه.

(٢) الإتقان: للسيوطي ٢٨٦/١.

(٣) انظر: مقدمة مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: د.فؤاد سزكين ١٨/١ ـ ١٩.

(٤) انظر: الإتقان: للسيوطي ٣٠١/١ ـ ٣٢٧.

الحارث فجعله كتاباً فيما اختلفوا فيه وما اتفقوا عليه فتارة يجيء كتاب أبان مفرداً وتارة يجيء مشتركاً على ما عمله عبدالرحمٰن»[1].

٣ ـ وقيل أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) في كتابه (مجاز القرآن).

والمؤلفات في هذا العلم تنقسم من حيث الترتيب إلى قسمين:

١ ـ قسم جاء ترتيب الألفاظ فيه على ترتيب السور فيذكر اسم السورة ثم يذكر الغريب من كلماتها. ومن المؤلفات في ذلك مجاز القرآن لأبي عبيدة، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

٢ ـ وقسم رتبها على حروف الهجاء مثل كتاب (غريب القرآن) للسجستاني وهو أول من سلك هذا المنهج، وكتاب (مفردات غريب القرآن) للأصفهاني، وكتاب (تحفة الأريب) لأبي حيان.

٤ ـ أهم المؤلفات في غريب القرآن:

والمؤلفات في هذا العلم كثيرة جداً قال السيوطي: (أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون)[2] ومنها:

١ ـ مسائل نافع بن الأزرق: وقد قامت بتحقيقها ودراستها الدكتورة عائشة عبدالرحمٰن، كما قام بتحقيقها محمد أحمد الدالي وغيرهما وجاوزت مسائلها المئتين وخمسين مسألة.

٢ ـ مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) وقام بتحقيقه الدكتور محمد فؤاد سزكين في مجلدين. وأراد بتأليفه إثبات عربية القرآن ونفي المعرب، ونقده بعض معاصريه، والفراء والأصمعي والطبري[3] وغيرهم، قال أبو عمر الجرمي: «أتيت أبا عبيدة فقلت له: عمن أخذت هذا

---

(١) معجم الأدباء: لياقوت الحموي ٣٨/١.

(٢) الإتقان: للسيوطي ٢٨٥/١.

(٣) انظر: التفسير اللغوي: د.مساعد الطيار ص٣٣٤.

يا أبا عبيدة فإن هذا خلاف تفسير الفقهاء فقال: هذا تفسير الأعراب البوالين على أعقابهم فإن شئت فخذه، وإن شئت فذره»[1].

٣ ـ تفسير غريب القرآن: ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ).

٤ ـ غريب القرآن ومنهم، من يسميه (نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن) لمحمد بن عُزَيْز العُزَيْزي السجستاني (ت٣٣٠هـ).

٥ ـ العمدة في غريب القرآن: منسوب لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ). تحقيق: يوسف المرعشلي.

٦ ـ المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ).

٧ ـ الأريب بما في القرآن من الغريب: ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

٨ ـ تحفة الأريب في تفسير الغريب: لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) طبع بتحقيق: د.أحمد مطلوب ود.خديجة الحديثي. وطبع أخرى بتحقيق: سمير المجذوب.

قال السيوطي: «أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيدة، وأبو عمر الزاهد، وابن دريد، ومن أشهرها كتاب العزيزي فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري، ومن أحسنها المفردات للراغب ولأبي حيان في ذلك تأليف في كراستين»[2].



(١) طبقات النحويين واللغويين: لأبي بكر الزبيدي ص١٧٦.

(٢) الإتقان: السيوطي ٢٨٥/١.

الوجوه والنظائر

التعريف:

ترد في القرآن الكريم بعض الكلمات بلفظ واحد في عدة مواضع ولها في كل موضع أو أكثر معنى غير المعنى المراد في المواضع الأخرى.

وهذا النوع من الألفاظ هو ما يبحثه العلماء في الوجوه والنظائر.

والوجوه لغة:

جمع وجه، ووجه كل شيء ما يستقبلك منه.

ووجه الكلام: السبيل الذي تقصده به[١].

والوجوه اصطلاحاً:

هي المعاني المختلفة التي تكون للفظ الواحد، فيسمى اللفظ من أجل ذلك (مشتركاً) وتسمى تلك المعاني المتعددة له (وجوهاً)[٢].

والنظائر لغة:

جمع نظيرة، وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والأقوال[٣].

---

(١) لسان العرب: لابن منظور ١٣/٥٥٥ ـ ٥٥٦.

(٢) انظر: مقدمة كتاب التصاريف: يحيى بن سلام ص١٧ ـ ١٨ للدكتورة هند شلبي.

(٣) لسان العرب: لابن منظور ٥/٢١٩.

والنظائر اصطلاحاً:

اختلف في المراد بها:

فذهب ابن الجوزي وآخرون إلى أن النظائر هي: الآيات التي تشترك في ورود كلمة فيها بلفظ واحد ومعان متعددة[1]، فهو يشترط الاشتراك في اللفظ دون المعنى.

وذهب الزركشي وآخرون إلى أن:

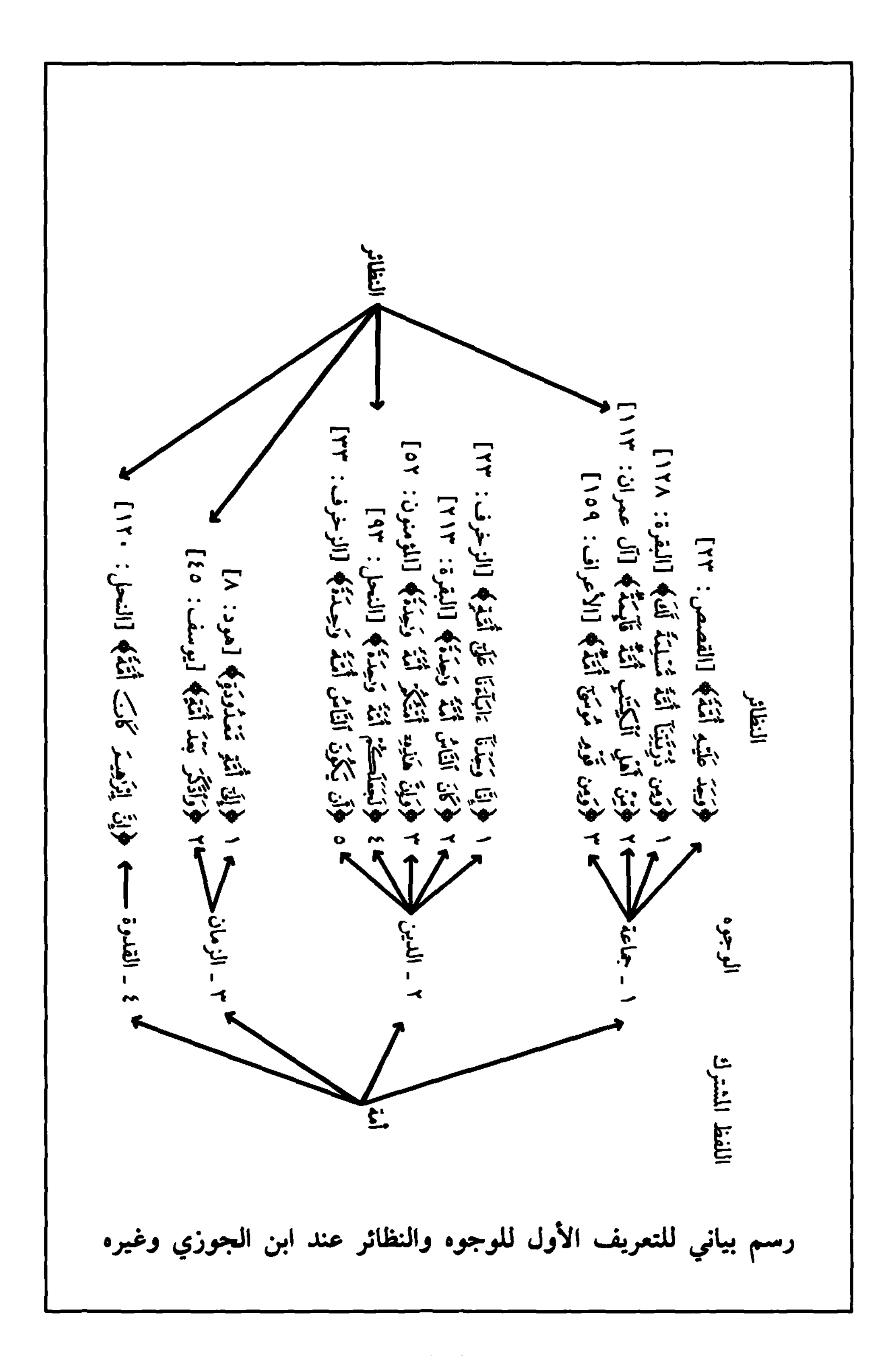
النظائر هي الآيات التي تشترك في ورود كلمة فيها بلفظ واحد ومعنى واحد[2]، فهو يشترط في النظائر أن تشترك في اللفظ والمعنى.

ولتوضيح القولين انظر الرسمين التاليين:

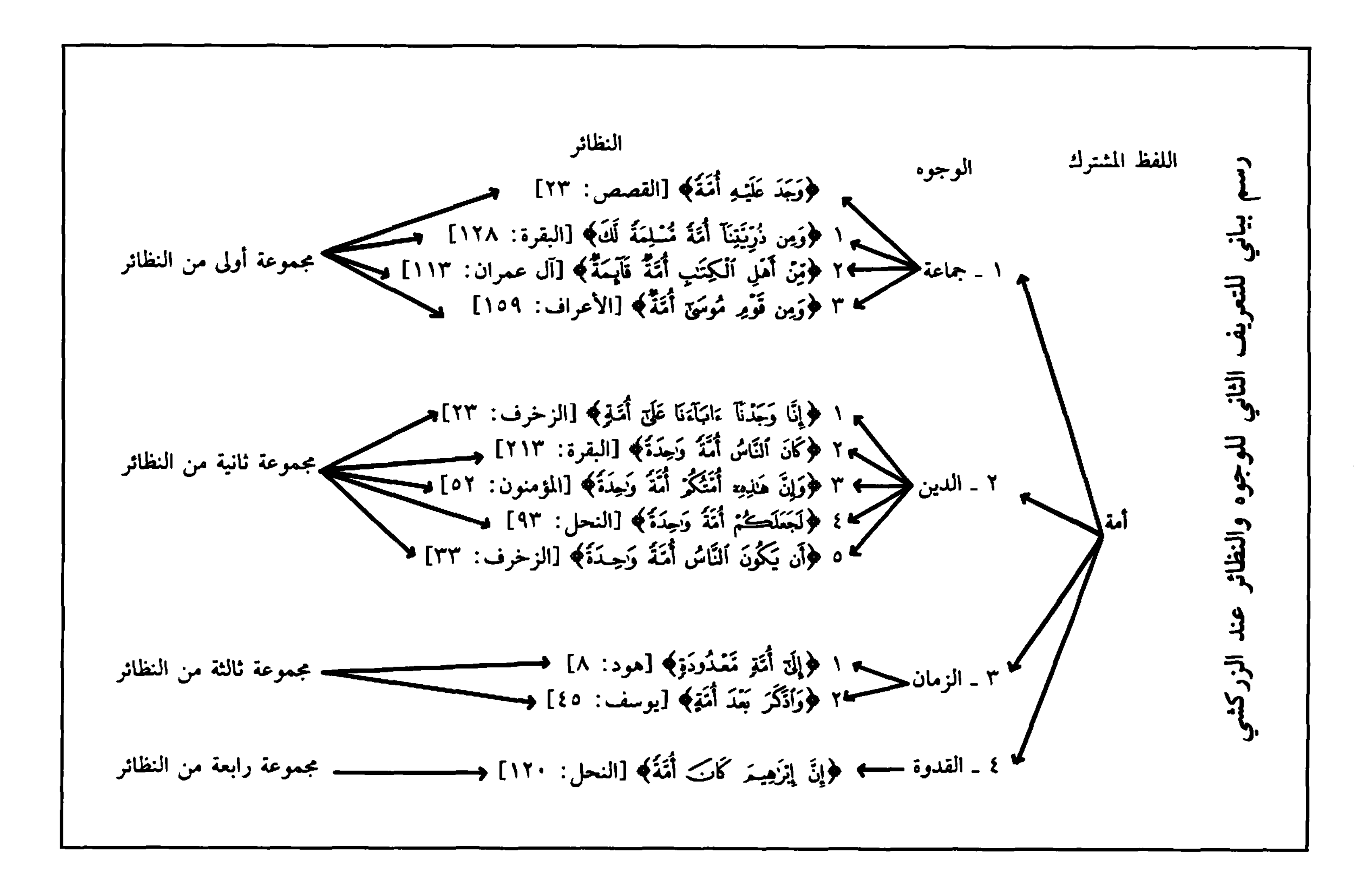
---

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر: لابن الجوزي ص٨٣.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٨٤/١.
وما ذكرته ليس بلفظه إذ أن عبارته ـ رحمه الله تعالى ـ غامضة كما ذكرت د.هند شلبي في مقدمتها لتصاريف يحيى بن سلام ص١٧ ـ ١٨.



رسم بياني للتعريف الأول للوجوه والنظائر عند ابن الجوزي وغيره



رسم بياني للتعريف الثاني للوجوه والنظائر عند الزركشي

ويظهر أن التعريفين يتفقان في معنى الوجوه. ويختلفان في تعريف النظائر[1].

وينبغي أن نذكر أنه ليس من الضروري أن تكون الكلمة المشتركة على لفظ واحد وحركة واحدة ـ كما جاء في التعريف الأول ـ لأن كتب الوجوه النظائر جرت على استعمال اللفظة ومشتقاتها على السواء[2].

موضوع هذا العلم:

هو الكلمات القرآنية التي تكرر ورودها في القرآن الكريم بلفظها أو ما اشتق منه لمعاني مختلفة.

أهمية هذا العلم:

ثراء اللغة العربية وشمولها ليس نتاج جملتها ومجموع ألفاظها فحسب بل ثراء مفرداتها، إذ أن كثيراً من مفردات اللغة العربية ثرية بالمعاني والمدلولات المتعددة والمختلفة بحيث يمكن التعبير بلفظ واحد عن معاني مختلفة فضلاً عن أن كل معنى من هذه المعاني له لفظ خاص به أو يدل على معاني أخرى غيره.

وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين فجاء تعبيره عن المعنى الواحد حيناً بألفاظ مختلفة وعبارات متنوعة، وعبر بلفظ واحد أيضاً عن معاني متعددة وفي هذا فضلاً عن الصور البيانية، والوجوه البلاغية دفع للملل والسأم وإظهار للعبارة بمظهر الجِدّة.

وتوسع القرآن الكريم في ذلك وجاوز قدرة أهل اللغة أنفسهم وعجزوا عن مجاراته فكان هذا كما قال الزركشي: من أنواع معجزات القرآن الكريم[3].

وتظهر أهمية هذا العلم في معرفة مدلول الألفاظ وأنه لا يجوز لأحد

---

(1) مقدمة كتاب التصاريف ليحيى بن سلام: د.هند شلبي ص٢١ ـ ٢٢.

(2) المرجع السابق: ص٢٤.

(3) البرهان: للزركشي ٨٤/١.

أن يفسر القرآن إلا إذا علم مدلول كل لفظ وعرف معناه وأدرك استعمالات الألفاظ، بل لا بد من فهم ذلك وإدراكه لما يترتب عليه من اختلاف في فهم العقيدة الصحيحة، واستنباط الأحكام الشرعية وإلا فقد أخطأ الفهم وبعد عن الصواب وتجرأ على القول في القرآن بغير علم، ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً»، قال حماد فقلت لأيوب: أهو أن يرى وجوهاً فيهاب الإقدام عليه؟ قال: نعم، هذا هو[1].

فمن لم يعرف الوجوه التي يحتملها اللفظ أخطأ في فهم العقيدة الصحيحة فالشرك مثلاً ورد في القرآن الكريم لمعان مختلفة فقد ورد:

١ ـ بمعنى الشرك بالله الذي يعدل به غيره ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[2]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[3]، وقوله: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[4].

٢ ـ وبمعنى الطاعة لغير الله من عباده ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾[5]، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾[6].

٣ ـ والشرك في الأعمال بمعنى الرياء. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[7]. ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ

---

(١) مفتاح السعادة: طاش كبرى زاده ص٤١٥، قال: أخرجه ابن عساكر وانظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ٥٦/٢ وقال: حديث لا يصح مرفوعاً، وإنما الصحيح فيه إنما هو من قول أبي الدرداء، وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٧/٢، والنهاية في غريب الحديث: لابن الأثير ١٥٩/٥. ولسان العرب: لابن منظور ٥٥٦/١٣ وقالا: (أي ترى له معاني يحتملها فتهاب الإقدام عليه).

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٥) سورة الأعراف، من الآية: ١٩٠.

(٦) سورة إبراهيم، من الآية: ٢٢.

(٧) سورة الكهف، من الآية: ١١٠.

ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾[1]، وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾[2].

فمن لم يدرك هذه المعاني للشرك وقع في اللبس.

وكذا في استنباط الأحكام الشرعية فالطعام ـ مثلاً ـ ورد في القرآن لمعان مختلفة منها:

١ ـ بمعنى الطعام الذي يأكله الناس: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾[4].

٢ ـ بمعنى الشراب: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾[5]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾[6].

٣ ـ بمعنى الذبائح: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[7].

٤ ـ بمعنى السمك المملح: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾[8].

فمن لم يدرك هذه الوجوه لم يعرف الصواب والتبس عليه الحق بالباطل ومن عرف هذه الوجوه وأن للكلمة أكثر من معنى تهيب الإقدام على التفسير كما أشار أبو الدرداء رضي الله عنه.

نشأته وتطوره:

نشأ هذا العلم في عصر مبكر في صدر الإسلام فقد نقلنا آنفاً قول أبي

---

(١) سورة النحل، الآية: ٥٤.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.
(٣) سورة الأحزاب، من الآية: ٥٣.
(٤) سورة قريش، من الآية: ٤.
(٥) سورة المائدة، من الآية: ٩٣.
(٦) سورة البقرة، من الآية: ٢٤٩.
(٧) سورة المائدة، من الآية: ٥.
(٨) سورة المائدة، من الآية: ٩٦.

الدرداء رضي الله عنه: «إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً» وقد كان هذا معلوماً للصحابة رضي الله عنهم، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنهما حين بعثه إلى الخوارج: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة وحين قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل». قال علي رضي الله عنه: صدقت. ولكن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة[1].

وقد ورد عن الرسول ﷺ وعن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين شيء من هذا النوع فقد روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة»**[2].

ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كل ريب: شك، إلا مكاناً واحداً في الطور» ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[3]. يعني: حوادث الأمور»[4].

ورُوي عن أبي كعب رضي الله عنه أنه قال: «كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب»[5].

ورُوي عن أبي العالية أنه قال: «كل آية من القرآن يذكر فيها حفظ الفرج فهو من الزنا إلا قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾[6]، فالمراد أن لا يراها أحد»[7].

---

(١) انظر الإتقان: للسيوطي ١/١٤٢.
(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٧٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٢٠: (ضعيف).
(٣) سورة الطور، من الآية: ٣٠.
(٤) الإتقان: للسيوطي ١/١٤٤.
(٥) الإتقان: للسيوطي ١/١٤٤.
(٦) سورة النور، الآية: ٣٠.
(٧) الإتقان: للسيوطي ١/١٤٤.

وروى الطبري عن الضحاك: (وكل شيء في القرآن من الألم فهو الموجع)[1].

وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: العفو في القرآن على ثلاثة أنحاء:

نحو: تجاوز عن الذنب.

ونحو: القصد في النفقة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[2].

ونحو: في الإحسان فيما بين الناس ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[3][4].

وقال ابن فارس في كتابه الأفراد: كل ما في كتاب الله من ذكر الأسف فمعناه: الحزن كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام: ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[5] إلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[6] فإن معناه أغضبونا[7].

وقال ـ أيضاً ـ: كل ما في القرآن من ذكر (البروج) فإنها الكواكب... إلا ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[8] فإنها القصور الطوال المرتفعة في السماء الحصينة[9].

وغير ذلك من الشواهد الدالة على نشأة هذا العلم في عصر الرسول ﷺ وعصر الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) جامع البيان: للطبري ٢٨٤/١.
(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢١٩.
(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٧.
(٤) الإتقان: للسيوطي: ١٤٥/١.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٤.
(٦) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.
(٧) البرهان: الزركشي: ص٨٦.
(٨) سورة النساء، الآية: ٧٨.
(٩) البرهان: الزركشي: ص٨٦.

إلا أن التدوين لم يكن في هذا العصر المبكر بل إن أقدم كتاب وصل إلينا يرجع إلى القرن الثاني وهو (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) لمقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ).

وقد نسبت كتب في الوجوه والنظائر قبل هذا إلى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما وإلى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما[١].

أهم المؤلفات فيه:

والمؤلفات في هذا العلم كثيرة جداً منها ما طبع ومنها ما زال مخطوطاً ومنها ما هو مفقود ومن أهم المؤلفات:

١ ـ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) طبع أكثر من مرة.

٢ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد: أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ).

٣ ـ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: أبو عبدالله الدامغاني (ت٤٧٨هـ).

٤ ـ نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: أبو الفرج عبدالرحمٰن ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).

٥ ـ كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر: ابن العماد (ت٨٨٧هـ).

هذه بعض المؤلفات في هذا العلم وغيرها كثير والله أعلم.



(١) نزهة الأعين النواظر: لابن الجوزي ص٨٢.

قواعد التفسير

القواعد لغةً: جمع قاعدة وهي أساس الشيء سواء كان حسياً مثل أساس البيت ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾[2]، أو كان معنوياً كقواعد العلم وقواعد اللغة.

والقاعدة اصطلاحاً: حكم ينطبق على معظم جزئياته.

وقواعد التفسير هي: الأحكام الكلية المنضبطة التي يتوصل بها إلى بيان معنى الآية أو ترجيح أحد الأقوال فيها.

ويظهر من التعريف أن قواعد التفسير تنقسم إلى قسمين:

الأول: القواعد العامة في التفسير.

الثاني: قواعد الترجيح في التفسير.

والقواعد العامة في التفسير هي: الأحكام الكلية المنضبطة التي يتوصل فيها إلى بيان معنى الآية.

وقواعد الترجيح: هي الأحكام الكلية المنضبطة التي يتوصل بها إلى ترجيح أحد الأقوال في تفسير الآية.

---

(١) سورة البقرة من الآية: ١٢٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

وهناك تداخل ظاهر بين القواعد العامة وقواعد الترجيح[1].

فكثير من القواعد العامة مرجحة، ولذا فإني سأذكر هنا بعض القواعد إجمالاً وعلى سبيل التمثيل لا الحصر.

قواعد التفسير:

أولاً: القواعد المتعلقة بطرق التفسير ومنها:

١ ـ اختلاف القراءات في الآية يعدد معانيها.

٢ ـ إذا عرف التفسير من جهة النبي ﷺ فلا حاجة إلى قول من بعده.

٣ ـ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك.

٤ ـ قول الصحابي مقدم على غيره في التفسير وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه.

٥ ـ إذا اختلف السلف في تفسير الآية على قولين لم يجز لمن بعدهم إحداث قول ثالث.

ثانياً: القواعد الأصولية:

١ ـ كل عام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه.

٢ ـ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٣ ـ الأمر يقتضي الوجوب والنهي يقتضي التحريم.

٤ ـ إذا دار اللفظ بين الإطلاق والتقييد فإنه يحمل على إطلاقه.

٥ ـ إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية قدمت الشرعية.

٦ ـ إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية قدمت العرفية.

---

(١) انظر فصول في أصول التفسير: د. مساعد الطيار. ص: ٨٧.

٧ ـ لا تصح دعوى النسخ في الآية إلا إذا صح التصريح بنسخها.

٨ ـ تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي.

٩ ـ تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ.

١٠ ـ القول المجمع عليه أولى بتأويل القرآن.

ثالثاً: القواعد المتعلقة باللغة:

١ ـ التفسير يكون بالأغلب الظاهر من اللغة.

٢ ـ ليس كل ما يثبت في اللغة يصح حمل آيات القرآن عليه.

٣ ـ إذا تجاذب المعنى والإعراب في كلمة واحدة يقدم المعنى ويؤول لصحة الإعراب.

٤ ـ لا يجوز حمل ألفاظ القرآن على مصطلح حادث.

٥ ـ إذا احتمل عود الضمير إلى جميع المذكورين حمل عليه.

٦ ـ إذا لم يحتمل عود الضمير إلى جميع المذكورين حمل على أقرب مذكور.

٧ ـ إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر.

٨ ـ التفسير الموافق لرسم المصحف أولى من المخالف.

٩ ـ التأسيس أولى من التأكيد.

١٠ ـ القول الموافق للسياق يقدم على غيره.

والقواعد التي استنبطها العلماء كثيرة[١]، لا يمكن استيعابها في هذه العجالة وليس بوسعنا أيضاً التمثيل لكل ما ذكرنا خشية الإطالة وسنقتصر على التمثيل لبعضها:

---

(١) لمزيد من التفصيل والبيان، انظر قواعد التفسير: د.خالد بن عثمان السبت، وقواعد الترجيح عند المفسرين: د.حسين بن علي الحربي.

أولاً: القواعد المتعلقة بطرق التفسير:

١ ـ اختلاف القراءات في الآية يعدد معانيها:

لا يخلو اختلاف القراءات من حالتين:

الأولى: أن يكون الاختلاف في وجوه النطق بالحروف والحركات كالإظهار، والإدغام، والإمالة، والمد ونحو ذلك وهذا لا تعلق له كبير في التفسير.

الثانية: أن يكون الاختلاف في الكلمات أو اختلاف الحركات الذي يؤدي إلى اختلاف المعنى وهذا له تأثير في التفسير.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ فقد قرئ برفع المجيد، وقرئ بالجر، فالرفع صفة لذو، والجر صفة للعرش وعلى هذا فهاتان القراءتان لهما حكم الآيتين[١].

وقد مرَّ بنا أمثلة أخرى لذلك في أسباب اختلاف المفسرين.

٢ ـ إذا عرف التفسير من جهة النبي ﷺ فلا حاجة إلى قول من بعده:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومما ينبغي أن يعلم أن تفسير القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة... ولا غيرهم[٢].

ومن أمثلة ذلك تفسير (الظلم) في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٣].

فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[٤]. شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا

---

(١) انظر: فصول في أصول التفسير: د.مساعد الطيار ص١٢٨.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٧/١٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.
(٤) سورة لقمان، الآية: ١٣.

لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾**»[1].

قال القاسمي: «وبالجملة فلا يعلم مخالف من الصحابة والتابعين في تفسير الظلم هنا بالشرك وقوفاً مع الحديث الصحيح في ذلك»[2].

وخالف ذلك الزمخشري المعتزلي حيث قال: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، أي: لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس»[3].

ورد عليه أبو حيان الأندلسي فقال: «وهذه دفينة اعتزال، أي: أن الفاسق ليس له الأمن إذا مات مصراً على الكبيرة.... وقد فسره الرسول ﷺ بالشرك فوجب قبوله»[4].

والذي حمل الزمخشري على مخالفة تفسير الرسول ﷺ اعتقاد المعتزلة الفاسد في مرتكب الكبيرة أنه خالد في النار[5].

ولا شك أن تفسيره مردود لمخالفته حديث الرسول ﷺ الصحيح.

ثانياً: القواعد الأصولية:

وسنذكر أمثلة لأربع قواعد من هذا النوع وهي:

١ ـ كل عام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه:

بمعنى أن لفظ الآية الذي يحتمل أكثر من معنى يفسر بكل هذه المعاني حتى يقوم دليل على تخصيص أحدها دون الباقي.

---

(١) رواه البخاري كتاب الإيمان باب الظلم دون ظلم ص١١٩٥، ورواه مسلم في كتاب الإيمان حديث رقم ٣٢٧ ص٦٦.

(٢) محاسن التأويل: للقاسمي ٢٣٨٩/٦.

(٣) الكشاف: للزمخشري ٣٣/٢.

(٤) البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي ٥٧١/٤.

(٥) انظر: المثال مفصلاً في قواعد الترجيح: د.حسين الحربي ٢٠٢/١.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: «غير جائز ادعاء خصوص في آية عام ظاهرها إلا بحجة يجب التسليم لها»[1].

وقد التزم رحمه الله هذه القاعدة في تفسيره ففي قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾[2].

ذكر أقوال العلماء في المراد بوالد وما ولد، فقيل: آدم وولده، وقيل: إبراهيم عليه السلام وما ولد، وقيل: العاقر والتي تلد.

ثم قال: «والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: إن الله عزَّ وجلَّ أقسم بكل والد وولده لأن الله جلَّ ثناؤه عم كل والد وما ولد، وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ، أو عقلٍ، ولا خبر بخصوص ذلك، ولا برهان يجب التسليم بخصوصه فهو على عمومه كما عَمَّه»[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾[4]، ذكر أقوال العلماء في المنافع فقيل: التجارة، وقيل: الأجر في الآخرة والتجارة في الدنيا، وقيل: العفو والمغفرة.

ثم قال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله، والتجارة، وذلك أن الله عَمَّ «منافع لهم» جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة. ولم يخصص من ذلك شيئاً من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت»[5].

---

(١) جامع البيان: الطبري ٤٦٤/٢.
(٢) سورة البلد، الآية: ٣.
(٣) جامع البيان: للطبري ٤٠٦/٢٤ ـ ٤٠٨.
(٤) سورة الحج، الآية: ٢٨.
(٥) جامع البيان: للطبري ٥١٩/١٦ ـ ٥٢٢.

وفي تفسير الذكر في قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ ذكر الجصاص في تفسيره أقوال العلماء فمنهم من قال: المراد بهذا الذكر التسمية على الذبيحة، وقيل: الذكر المفعول عند رمي الجمار، وقيل: تكبير التشريق.

ثم قال: «وليس يمتنع أن يكون المراد جميع ذلك وهو التسمية على الهدايا الموجبة بالإحرام للقِران أو التمتع وما تعلق وجوبها بالإحرام ويراد بها تكبير التشريق، والذكر المفعول عند رمي الجمار إذ لم تكن إرادة جميع ذلك ممتنعة بالآية»(1).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾(2)، ذكر الطبري أقوال العلماء في ذلك فقال بعضهم: آمنهم مما يخاف منه من لم يكن من أهل الحرم من الغارات والحروب والقتال، وقيل: آمنهم من الجذام.

ثم قال: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: أن الله ـ تعالى ذكره ـ أخبر أنه آمنهم من خوف والعدو مخوف منه، والجذام مخوف منه، ولم يخصص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدو دون الجذام، ولا من الجذام دون العدو؛ بل عم الخبر بذلك فالصواب أن يُعَمَّ كما عم جلَّ ثناؤه، فيقال: آمنهم من المعنيين كليهما»(3).

٢ ـ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وقصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل، فإن عامة الآيات نزلت بأسباب اقتضت ذلك، وقد علم أن شيئاً منها لم يقصر على سببه»(4).

وقال ـ أيضاً ـ: «قولهم هذه الآية نزلت في كذا... لم يقصدوا أن

---

(1) أحكام القرآن: للجصاص ٣/٢٣٥.
(2) سورة قريش، الآية: ٤.
(3) جامع البيان: للطبري ٢٤/٦٥٤ ـ ٦٥٦.
(4) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٥/٣٦٤.

حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق»[1].

وقال ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وهذه القاعدة نافعة جداً بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير وعلم غزير»، ثم قال: «فمتى راعيت هذه القاعدة حق الرعاية وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورة عليها، فقولهم: نزلت في كذا وكذا معناه: أن هذا مما يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها»[2].

ومن أمثلة هذه القاعدة ما رواه الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾[3]. عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: «إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعدُ»[4] مع أن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق[5].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[6]. قال ابن عطية بعد أن ذكر أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «والآية وإن كانت نزلت في علي ـ رضي الله عنه ـ فمعناها يتناول كل من فعل فعله»[7].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[8].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص٤٤ و٤٧ باختصار.
(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبدالرحمٰن بن سعدي ص٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.
(٤) جامع البيان: للطبري: ٢٣٢/٤.
(٥) المرجع السابق: ٢٢٩/٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.
(٧) المحرر الوجيز: لابن عطية ٣٤٣/٢.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١١٤.

قال أبو حيان الأندلسي بعد أن ذكر الأقوال في سبب نزولها: «وظاهر الآية العموم في كل مانع وفي كل مسجد، والعموم وإن كان سبب نزوله خاصاً فالعبرة به لا بخصوص السبب»[1].

٣ ـ تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي:

إذا كان للكلمة الواحدة معنيان أو أكثر أحدهما لغوي والآخر شرعي واختلف المعنيان قدم المعنى الشرعي لأن القرآن الكريم نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة إلا أن تدل قرينة على إرادة المعنى اللغوي[2].

مثال ما قدم فيه المعنى الشرعي قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾[3]، فالصلاة لها معنيان لغوي هو (الدعاء) وشرعي وهو هنا صلاة الجنازة، فيقدم المعنى الشرعي لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب[4].

ومثال ما قدم فيه المعنى اللغوي لقرينة قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[5]، فالمراد بالصلاة هنا الدعاء بدليل حديث مسلم. كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: **«اللَّهم صل عليهم»**[6].

٤ ـ القول المجمع عليه أولى بتأويل القرآن:

قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: «وما جاء به المنفرد فغير جائز الاعتراض به على ما جاءت به الجماعة التي تقوم بها الحجة نقلاً وقولاً وعملاً»[7].

---

(١) البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي ٥٧١/١.
(٢) انظر البرهان: للزركشي ١٦٧/٢، وأصول التفسير: لابن عثيمين ص٢٩.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٤.
(٤) أصول التفسير: لابن عثيمين ص٢٩.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.
(٦) صحيح مسلم ٧٥٦/٢، وانظر أصول التفسير: لابن عثيمين ص٢٩ ـ ٣٠.
(٧) جامع البيان: للطبري ٤٠٨/١.

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «إذا أجمعوا على أن المراد بالآية إما هذا وإما هذا كان القول بأن المراد غير هذين القولين خلافاً لإجماعهم، ولكن هذه طريق من يقصد الدفع لا يقصد معرفة المراد وإلا فكيف يجوز أن تضل الأمة عن فهم القرآن ويفهمون منه كلهم غير المراد ومتأخرون يفهمون المراد فهذا هذا والله أعلم»[1].

وكثيراً ما يقول الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: «أولى الأقوال ما أجمع عليه أهل التأويل»[2].

ومن الأمثلة لهذه القاعدة قول الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: «وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾»[3]. يعني به: الشياطين، وأن قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني به: الناس، وذلك قول لجميع أهل التأويل مخالف، وذلك أنهم مجمعون على أن قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ معني به اليهود دون الشياطين[4].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[5]. قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: «وأولى القولين في تأويل قوله: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ بالصواب، قول من قال: عنى بالألوف، كثرة العدد، دون قول من قال: عنى به الائتلاف بمعنى ائتلاف قلوبهم، وأنهم خرجوا من ديارهم من غير افتراق كان منهم ولا تباغض، ولكن فراراً، إما من الجهاد، وإما من الطاعون، لإجماع الحجة على أن ذلك تأويل الآية ولا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة والتابعين»[6].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٩٥/١٥.
(٢) انظر: أمثلة لذلك في جامع البيان ٥٥٢/١ و٥٩٠/٢ و١٤٧/١٢ و١١٩/١٣. وانظر: قواعد الترجيح: د.حسين الحربي ٢٩٢/١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٤) جامع البيان: للطبري ٤٦٧/١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.
(٦) جامع البيان: للطبري ٥٩٠/١.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾[١]. ذكر الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ تفسير مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ بأن المراد مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وإنما هو مثل ضربه الله لهم كمثل لحمار يحمل أسفاراً ثم قال الطبري: «وهذا القول الذي قاله مجاهد قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت[٢]. . . . هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ أو الكذب فيما نقلته مجمعة عليه، وكفى دليلاً على فساد قول إجماعها على تخطئته»[٣].

ثالثاً: القواعد المتعلقة باللغة:

وسنذكر أمثلة لثلاث قواعد من هذا النوع وهي:

١ ـ التفسير يكون بالأغلب الظاهر من اللغة:

وذلك أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين فلا يصح تفسيره بغير الأظهر والأغلب والأبين من كلام العرب، قال الإمام الطبري: «غير جائز أن نحمل معاني كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب في كلام العرب ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل»[٤]. وقال في موضع آخر: «كلام الله الذي خوطب به العرب غير جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل من معانيه، إلا أن تأتي دلالة أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك يجب التسليم لها»[٥].

وقد التزم الطبري رحمه الله تعالى هذه القاعدة في تفسيره فقال في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

(٢) وذلك في سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٣) جامع البيان: للطبري ١٧٣/٢.

(٤) جامع البيان: للطبري ٥٧٨/٨.

(٥) جامع البيان: للطبري ٤٨٢/٨.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[1]، بعد أن ذكر أقوال العلماء في معنى (خلاق) قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى (الخلاق) في هذا الموضع: النصيب. وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب[2].

٢ ـ التفسير الموافق لرسم المصحف أولى من المخالف:

فقد يكون لبعض الكلمات أكثر من معنى إلا أن رسمها في المصحف يرجح أحد المعنيين ففي قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧)﴾[3].

اختلف العلماء في قوله: ﴿فَلَا تَنْسَىٰ (٦)﴾:

١ ـ أنها للنفي وتكون بمعنى الإخبار.

٢ ـ أنها للنهي.

ورسم الكلمة يرجح أنها للنفي لوجود الألف المقصورة ولو كانت (لا) للنهي لصار الفعل بعدها مجزوماً بحذف الحرف المعتل في آخره وكتبت الكلمة هكذا (تنس) فدل بقاء الألف في الرسم على أن لا للنفي وليست للنهي[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)﴾[5] قولان للعماء:

الأول: أن الضمير (هم) في موضع رفع مؤكد لواو الجماعة. وعلى هذا فإنه يجوز الوقوف على (كالو) والمعنى إذا كال المطففون أنفسهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) جامع البيان: للطبري ٤٥٣/٨.

(٣) سورة الأعلى، الآيتان: ٦ ـ ٧.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي ١٩/٢٠، وروح المعاني: للألوسي ١٠٥/٣٠.

(٥) سورة المطففين، الآية: ٣.

الثاني: أن الضمير (هم) في موضع نصب أي كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف حرف الجر ووصل الفعل بنفسه والمفعول محذوف وهو المكيل والموزون.

ورسم الكلمة يرجح المعنى الثاني لأنه لو كان المراد المعنى الأول لأثبت بعد الفعل كالوا ووزنوا ألفاً هكذا (كالوا هم) و(وزنوا هم) فدل عدمها على رجحان القول الثاني الذي لا يطلبها.

قال الإمام الطبري: «والصواب في ذلك عندي الوقف على هم» ثم قال: لو كانت هم كلاماً مستأنفاً كانت كتابة كالوا ووزنوا بألف فاصلة بينها وبين هم مع كل واحدة منهما إذ كان بذلك جرى الكتاب في نظائر ذلك»[1].

٣ ـ القول الموافق للسياق يقدم على غيره:

وهذه قاعدة مهمة، فعلى المفسر أن لا ينظر في الكلمة أو الجملة مستقلة بنفسها بل عليه أن ينظر إليها في سياق النص القرآني فإن ذلك معين على تحديد المعنى المراد لا سيما إذا كان للكلمة أو الجملة أكثر من معنى.

وبهذه القاعدة رجح الطبري وغيره من المفسرين بعض الأقوال وردوا غيرها ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾[2]. قال الطبري: «وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ يعني به: الشياطين وأن قوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[3] يعني به: الناس. وذلك قول لجميع أهل التأويل مخالف. وذلك أنهم مجمعون على أن قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ مَعْنِيٌّ به اليهود دون الشياطين: ثم هو ـ مع ذلك ـ خلاف ما دلَّ عليه التنزيل، لأن الآيات قبل قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾[4].

(١) جامع البيان: للطبري ٥٨/٣٠، وانظر: البحر المحيط: لأبي حيان ٤٣٩/٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

وبعد قوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1]. جاءت من الله بذم اليهود وتوبيخهم على ضلالهم وذماً لهم على نبذهم وحي الله وآيات كتابه وراء ظهورهم مع علمهم بخطأ فعلهم. فقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[2] أحد تلك الأخبار عنهم[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[4]، نقل الطبري عن قتادة قوله: هؤلاء أصحاب النبي ﷺ وروى عن غيره أنهم علماء بني إسرائيل الذين اتبعوا محمداً ﷺ ثم رجح القول الثاني فقال: «وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين وتبديل من بَدّل منهم كتاب الله، وتأولهم إياه على غير تأويله وادعائهم على الله الأباطيل ولم يجر لأصحاب محمد ﷺ في الآية التي قبلها ذكر... ولا لهم بعدها ذكر في الآية التي تتلوها»[5].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[6]. قيل: سأريكم مصيرهم. وقيل: سأريكم جهنم. وقيل: سأريكم ديارهم في الشام. وقيل: سأريكم دار فرعون وهي مصر. ورأى الطبري أنها للتهديد لمن عصاه وخالف أمره ثم قال: «وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لأن الذي قبل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه، وفرط في العمل لله، وحاد عن سبيله، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه، أو عما لم يجر له ذكر»[7].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٣) جامع البيان: للطبري ٤٥٦/٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢١.
(٥) جامع البيان: للطبري ٥٦٤/٢ ـ ٥٦٥.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.
(٧) جامع البيان: للطبري ١١٢/١٣.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي . . .﴾[1]. قيل: نزلت في قوم في عهد النبي ﷺ ادعوا أنهم يحبون الله. وقيل: نزلت رداً على النصارى في ادعائهم أن ما يقولون عن عيسى عليه السلام إنما هو محبة لله. وقد رجح ابن جرير الطبري القول الثاني: «لأنه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة ولا قبل هذه الآية ذكر لقوم ادعوا أنهم يحبون الله ولا أنهم يعظمونه»[2].

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) جامع البيان: للطبري ٣٢٢/٦ ـ ٣٢٤.

أهم المؤلفات في التفسير ومناهجه

أولاً: المؤلفات في التفسير:

لا يعرف التاريخ كتاباً أُلِّفَ فيه المؤلفون، ودرسه الدارسون وصَنّف فيه المصنفون، مثل القرآن الكريم.

ولذا فإنه ليس بالمستطاع - إن لم يكن من المستحيل - حصر جميع المؤلفات عن القرآن قديماً وحديثاً، وليس المقام هنا مقام استيفاء، وإنما سنذكر تعريفاً موجزاً لتفاسير معدودة ومؤلفيها كما يلي:

١ - تعريف ببعض المؤلفات في التفسير بالمأثور ومؤلفيها.

٢ - تعريف ببعض المؤلفات في التفسير بالرأي ومؤلفيها.

٣ - تعريف ببعض المؤلفات في التفسير في العصر الحديث ومؤلفيها.

١ - المؤلفات في التفسير بالمأثور ومؤلفوها:

وهي مؤلفات كثيرة عديدة ومن أشهرها:

١ - جامع البيان عن تأوي آي القرآن:

مؤلفه:

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ولد في (آمُل) في طبرستان سنة ٢٢٤ وتوفي في بغداد سنة ٣١٠[١].

---

(١) طبقات المفسرين: للداودي ١١٤/٢.

كان عالماً بالقراءات، وإماماً في التفسير، بارعاً في الحديث وشيخاً للمؤرخين، انفرد في الفقه بمذهب مستقل وأقاويل واختيارات وله أتباع ومقلدون[1].

قال عنه ابن الخطيب: «جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره»[2]. وقال ابن خزيمة: «ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير»[3]. وقال عنه السيوطي أنه: «رأس المفسرين على الإطلاق»[4].

وله مؤلفات عديدة منها ما هو مطبوع ومنها ما لم يطبع بعد، فمن ذلك:

كتاب (الغرائب)، و(التنزيل) و(العدد) و(تاريخ الرجال) في الصحابة والتابعين و(لطيف القول) جمع فيه مذهبه الذي اختاره و(الخفيف) و(التبصير) و(تهذيب الآثار) و(البسيط) و(الفضائل) ومن أهم كتبه (تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم).

تفسيره:

أمّا تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) فلم يؤلّف قبلَه ولا بعدَه مثله في موضوعه ولا يزال المفسرون عالة على تفسيره في التفسير بالمأثور، ويتميز تفسيره بمزايا منها:

١ ـ اعتماده على التفسير بالمأثور عن الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين.

٢ ـ التزامه بالإسناد في الرواية.

٣ ـ عنايته بتوجيه الأقوال والترجيح.

---

(١) طبقات المفسرين: للسيوطي ص٩٦.
(٢) تاريخ بغداد: لابن الخطيب ١٦٣/٢.
(٣) طبقات المفسرين: للداودي ١١١/٢.
(٤) طبقات المفسرين: للسيوطي ص٩٥.

٤ ـ ذكره لوجوه الإعراب.

٥ ـ دقته في استنباط الأحكام الشرعية من الآيات.

وكان هذا التفسير مفقوداً إلى وقت قريب حيث عُثِرَ على نسخة مخطوطة منه عند أحد أمراء حائل هو حمود بن عبيد الرشيد[١]. فطُبعَ على هذه النسخة في ٣٠ جزء، ثم نُقّح بعد ذلك وطُبعَ مرة أخرى سنة ١٩١١م وصُوّرت هذه الطبعة عدة مرات بعد ذلك[٢].

وقام الشيخان الفاضلان محمود وأحمد شاكر ـ رحمهما الله تعالى ـ بتحقيق الكتاب والتعليق عليه ومراجعته وتخريج أحاديثه وصدر منه ستة عشر جزءاً إلى نهاية تفسير الآية ٢٧ من سورة إبراهيم، ثم توقف العمل.

ثم قام الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي بتحقيق الكتاب وإخراجه في ستة وعشرين مجلداً، ولا يزال الكتاب بحاجة إلى مزيد عناية وتحقيق.

قال النووي: «لم يصنف أحد مثله»[٣]، يعني: تفسير الطبري.

وقال أبو حامد الإسفراييني ـ رحمه الله تعالى ـ: «لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً»[٤].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري، فإن يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير، والكلبي»[٥].

---

(١) مذاهب التفسيرالإسلامي: جولد تسيهر، ترجمة: د.عبدالحليم النجار ص١٠٩، والتفسير والمفسرون: للذهبي ٢٠٧/١.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي: جولد تسيهر: ص١٠٩.

(٣) الإتقان: للسيوطي، ١٩٠/٢.

(٤) طبقات المفسرين: للداودي ١٠٩/٢.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٨٥/١٣.

٢ ـ معالم التنزيل:

مؤلفه:

أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي. الفقيه المفسر المُحَدِّثُ يلقب بمحيي السنة، كان تقياً ورعاً، إذا ألقى الدرس لا يلقيه إلا على طهارة ولد حوالي ٤٣٠ في بلدة «بَغ» في خراسان وتوفي سنة ٥١٠ بمرو الروذ، كان حافظاً للقرآن، عالماً بالقراءات، وبما أثر عن الصحابة والتابعين في التفسير والفقه، ومن أئمة الحديث وحفاظه، واسع المعرفة بمتونه وأسانيده وأحوال رجاله ورواته، واسع العلم في اللغة وفقهها، والفقه ومسائله. ومن مؤلفاته: (شرح السنة) وهو من أجل كتب السنة، و(مصابيح السنة).

وهو سلفي على منهج أهل السنّة والجماعة له مقدمة مفيدة في كتابه شرح السنّة بيّن فيها عقيدة السلف في الأسماء والصفات[١].

تفسيره:

طبع هذا التفسير مع تفسير ابن كثير ثم طبع في حاشية تفسير الخازن، وطبع مستقلاً في أربعة مجلدات بتحقيق د.خالد العك ومروان سوار.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن تفسير البغوي: «والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة»[٢].

وهذا التفسير ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ويتميز بالآتي:

١ ـ عنايته بتفسير القرآن بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين، ويسند

---

(١) المفسرون بين الإثبات والتأويل: د.محمد المغراوي ١٦٩/١.

(٢) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص٧٦.

الأحاديث أما الآثار فغالباً لا يذكر الإسناد لأنه ذكر في المقدمة إسناده إلى كل من روى عنه منهم.

٢ ـ يعني بالقراءات دون توجيهها نحوياً.

٣ ـ يذكر الاختلاف عن السلف في التفسير من غير ترجيح لأحدها أو قدح بشيء منها لاحتمال صحة جميع الأقوال.

٤ ـ يورد بعض الإسرائيليات ولا يعقب عليها.

٥ ـ يعرض المسائل الفقهية دون توسع وبأسلوب ميسر.

٦ ـ لم يكثر في تفسيره من مباحث الإعراب ونكت البلاغة، وتحاشى الخوض في المسائل الكلامية في آيات العقيدة والصفات ويكتفي بإيراد مذهب السلف فيها[(١)]، إلا أنه أَوَّلَ في بعض الصفات تبعاً للثعلبي، وسكت عن بعضها وأجمل في بعض آخر فقال مثلاً في الرحمة أنها: (إرادة الله الخير لأهله)[(٢)]. والصواب إثبات صفة الرحمة على ما يليق بالله تعالى.

وفي صفة الغضب قال هو: «إرادة الانتقام من العصاة»[(٣)].

والصواب: إثبات صفة الغضب دون تكييف أو تمثيل أو تشبيه.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[(٤)]. قال: «إلا هو، وقيل: إلا ملكه»[(٥)].

---

(١) التفسير والمفسرون للذهبي: ٢٣٦/١ ـ ٢٣٧، وتفسير البغوي: ٢٢/١ ـ ٢٣.

(٢) تفسير البغوي: ٣٨/١.

(٣) معالم التنزيل: للبغوي: ٤٢/١.

(٤) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٥) معالم التنزيل: للبغوي: ٤٥٩/٣، وانظر: كتاب المفسرون بين الإثبات والتأويل: د.محمد المغراوي ١٧١/١ ـ ١٨٣.

٣ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:

مؤلفه:

أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي[(١)].

ولد سنة ٤٨١، تولى القضاء بمدينة (المَرِيَة) في الأندلس وهو أحد أعلام الأندلس الحائزين قصب السبق في الفقه، والحديث، والتفسير، والأدب، عَدَّه أبو حيان من أجل من صَنفَ في علم التفسير[(٢)]، توفي رحمه الله تعالى في (لُوْرقه) في المغرب سنة ٥٤١.

تفسيره:

قال عنه ابن جُزَيّ الغرناطي: «وأمّا ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف مَنْ كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة»[(٣)].

وعقد أبو حيان مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري فقال: «وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص»[(٤)].

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري، وهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين!! وإنما يعني بهم طائفة من أهل

---

(١) انظر: ترجمته في طبقات المفسرين: للداودي ١/٢٦٠ ـ ٢٦١.
(٢) البحر المحيط: لأبي حيان ١/٩.
(٣) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي ١/١٧.
(٤) البحر المحيط: لأبي حيان ١/١٠.

الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة»[1].

وابن عطية يذكر الآية في تفسيره ثم يفسرها بعبارة عذبة سهلة، ويورد من التفسير بالمأثور، وينقل عن ابن جرير الطبري ويناقش المنقول أحياناً، ويكثر من الاستشهاد بالشعر العربي، ويحتكم إلى اللغة العربية عند توجيه بعض المعاني، ويهتم كثيراً بالصناعة النحوية، ويتعرض كثيراً للقراءات المختلفة ويفسر بعضها ببعض[2].

وقد قامت وزارة الأوقاف في المغرب بطبع هذا التفسير في ستة عشر مجلداً، ثم طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر في خمسة عشر مجلداً، وتقوم الآن بإعادة تحقيقه ونشره على عدة نسخ خطية منها نسخة خطية من مكتبتي الخاصة.

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:

المؤلف:

هو أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ولد في أوائل القرن السابع في قرطبة في الأندلس وقضى فيها شبابه ولما سقطت قرطبة في يد النصارى سنة (٦٣٣هـ) هاجر إلى مصر مع من هاجر من علماء الأندلس وتنقل في مدنها يطلب العلم ثم استقر في (منية الخصيب)، في صعيد مصر وهي المعروفة الآن (بالمنيا) شمال أسيوط على نهر النيل وبقي فيها إلى أن توفي سنة (٦٧١هـ) وهو مالكي المذهب أشعري العقيدة وكان زاهداً ورعاً متواضعاً رحمه الله تعالى.

وله عدد من المؤلفات منها تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، وكتاب (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)، و(التذكار في أفضل الأذكار)، و(الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى)، و(الإعلام بما في دين النصارى من

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص٩٠.

(٢) انظر التفسير والمفسرون: للذهبي ١/٢٤٠.

المفاسد والأوهام)، و(إظهار محاسن دين الإسلام)، وغير ذلك.

التفسير:

واسم تفسيره «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان» وهو مطبوع في عشرين جزءاً في عشرة مجلدات وطبع عدة مرات.

ونقل القرطبي كثيراً من تفسيره من المحرر الوجيز لابن عطية واعتمد عليه كثيراً وكذلك أحكام القرآن لابن العربي ويتميز تفسيره بمزايا منها:

١ - القرطبي رحمه الله في مسائل العقيدة أشعري وفي المسائل الفقهية مالكي.

٢ - له عناية بالتفسير المأثور.

٣ - توسع في تفسير آيات الأحكام على المذهب المالكي، وإن لم تتضمن الآية حكماً ذكر ما فيها من التفسير والتأويل.

٤ - يورد بعض الأخبار الإسرائيلية ويردها أحياناً وأحياناً لا يبين بطلانها وهذا كله قليل وصرح بذلك في مقدمته بقوله: «واضرب عن كثير من قصص وأخبار الإخباريين إلا ما لا بد منه».

٥ - له عناية بالإعراب وبيان الغريب من ألفاظ القرآن الكريم ويكثر من الاستشهاد بالأشعار.

٦ - يذكر القرطبي القراءات المتواترة مع التوجيه ويرد على من يضعف قراءة متواترة لمخالفتها لأصول النحو ويستعرض القراءات الشاذة مع وجوه إعرابها وقد يبين ضعفها أو يرفض الاستدلال بها في الفقه.

٥ - تفسير القرآن العظيم: ابن كثير:

مؤلفه:

هو أبو الفِداء عِمادُ الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي ولد في بُصْرى في الشام سنة ٧٠٠، طلب العلم في صغره ورحل في طلبه وقدم دمشق وله سبع سنين وتلقى العلوم عن كثير من علماء عصره. وكان له

صلة وثيقة مميزة بابن تيمية ومناضلة عنه، واتبَاع له في كثير من آرائه وكان يُفْتِي برأيه في مسألة الطلاق، وامتحن بسبب ذلك، وأوذي[1] وتوفي سنة (٧٧٤) رحمه الله تعالى.

ومن مؤلفاته (البداية والنهاية)، و(الاجتهاد في طلب الجهاد)، و(جامع المسانيد العشرة)، و(الكواكب الدراري)، وغير ذلك.

تفسيره:

يُعَدُّ تفسير ابن كثير من أشهر ما دُوّن في التفسير بالمأثور ويُعتبر في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير الطبري.

وطريقته في التفسير أنْ يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، ويجمع الآيات المناسبة لها، ويقارن بينها، وتفسيره أكثر كتب التفسير المعروفة سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد[2].

ثم يورد الأحاديث المرفوعة التي لها صلة بالآية ويبيّن أحياناً ما يُحْتج به منها وما لا يُحْتَج به، ثم يُردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف.

ويُرجّح بين الأقوال، ويُضَعّف بعض الروايات، ويصحح أُخَر ويُعَدّل بعض الرواة، ويَجْرَح آخرين إذ أنه من أهل العلم بالحديث والجرح والتعديل.

وينبه إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات الإسرائيليات إجمالاً أحياناً، وبالتفصيل حيناً آخر[3].

قال السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ عن ابن كثير ـ رحمه الله

---

(١) طبقات المفسرين: للداودي ١/١١١.

(٢) التفسير والمفسرون: للذهبي ١/٢٤٤.

(٣) انظر: التفسير والمفسرون: للذهبي ١/٢٤٥.

تعالى ـ: «له التفسير الذي لم يؤلف على نمط مثله»[1]. وقال الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ: «وله ـ يعني ابن كثير ـ تصانيف منها التفسير المشهور، وهو في مجلدات، وقد جمع فيه فأوعى، ونقل المذاهب والأخبار، والآثار، وتكلم بأحسن كلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير، إن لم يكن أحسنها»[2].

وبالجملة يُعَدُّ تفسيره ـ رحمه الله تعالى ـ من أفضل المؤلفات في التفسير، وقد طُبِعَ مرات كثيرة مع تفاسير أخرى، ومستقلاً في أربعة مجلدات كبار، واختصره عدد كبير من العلماء، منهم الأستاذ أحمد شاكر، ومحمد نسيب الرفاعي وغيرهما.

٦ ـ الدر المنثور: السيوطي:

مؤلفه:

هو جلال الدين عبدالرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، ولد سنة ٨٤٩ وتوفي سنة ٩١١، وبعد أنْ تلقّى العلوم وحَصّل منها حظاً وافراً، انصرف إلى التأليف في وقت مبكر من حياته، ثم تجرد للتأليف في أواخر عمره فاعتزل الناس وترك وظائفه من تدريس وإفتاء.

تفسيره: ألّف السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه (ترجمان القرآن) ثم أراد أنْ يختصره وعَلّل هذا بقوله: «فلما ألفت كتاب (ترجمان القرآن) وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وتَمّ بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات رأيت قصور أكثر الهمَم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخصت منه هذا المختصر، مقتصراً فيه على متن الأثر مُصَدَّراً بالعَزو والتخريج إلى كل كتاب مُعتبر، وسميته

(١) مقدمة تحقيق تفسير ابن كثير ١٩/١، تحقيق: الشيخ سامي السلامة.

(٢) مقدمة تحقيق تفسير ابن كثير ١٩/١، تحقيق: الشيخ سامي السلامة.

بالدر المنثور في التفسير بالمأثور»[1].

وتفسير الدر المنثور مثل أغلب كتب السيوطي، قام على الجمع. فقد اكتفى فيه بسرد الروايات عن السلف دون تعقيب بتعديل أو تجريح أو تضعيف أو تصحيح، ولم يَتَحر الصحة فيما جَمَعَ، وخلَطَ الصحيح بالضعيف[2].

وطُبعَ هذا التفسير في ستة مجلدات، وطبع بتحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي في ١٧ مجلد وهو بحاجة ماسة إلى عناية طلبة العلم، وخدمته بالتحقيق والتخريج والفهرسة والإخراج.

٢ ـ المؤلفات في التفسير بالرأي ومؤلفوها:

وهي أيضاً مؤلفات كثيرة ومنها:

١ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: للزمخشري.

المؤلف:

هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري[3] المعتزلي الملقب بجار الله، ولد سنة ٤٦٧ في زَمَخْشَر من قرى خوارزم، بعد أن تلقى العلم، ورحل إلى مكة وألّف فيها تفسيره الكشاف، ثم عاد إلى جرجانية خوارزم، وتوفي فيها سنة ٥٣٨ وهو إمام من أئمة اللغة البارزين فيها حنفي المذهب، معتزلي الاعتقاد، لا يأنف من انتمائه إلى الاعتزال، بل يجاهر به، ويدعو إليه، ومن مؤلفاته: (أساس البلاغة)، و(الفائق في غريب الحديث)، و(المفصل) في النحو، و(المقامات)، و(ربيع الأبرار ونصوص الأخبار)، و(الأحاجي النحوية) وغيرها.

---

(١) الدر المنثور: للسيوطي ٢/١.

(٢) التفسير والمفسرون: للذهبي ٢٥٤/١.

(٣) انظر: ترجمته في طبقات المفسرين: للداودي ٣١٤/٢ ـ ٣١٦. وطبقات المفسرين: للسيوطي ص١٢٠ ـ ١٢١.

تفسيره:

اعتنى الزمخشري في تفسيره هذا ببيان وجوه الإعجاز القرآني وإظهار جمال النظم وبلاغته وتمَيز بذلك حتى كان مرجعاً في ذلك. وخلا هذا التفسير من الحشو والتطويل، وإيراد الإسرائيليات إلا القليل.

والزمخشري قليل الاستشهاد بالأحاديث ويورد أحياناً الأحاديث الموضوعة، خاصة في فضائل السور.

وملأ تفسيره بعقائد المعتزلة والاستدلال لها وتأويل الآيات وفقها، ويدس ذلك دَسّاً لا يُدركه إلا حاذق حتى قال البلقيني: «استخرجت من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش»[1].

وهو شديدٌ على أهل السنة والجماعة ويذكرهم بعبارات الاحتقار ويرميهم بالأوصاف المُقذِعة، ويمزج حديثه عنهم بالسخرية والاستهزاء[2].

ولهذه الأمور وغيرها نَبّه كثير من العلماء إلى أخذ الحيطة والحذر عند المُطالعة في تفسيره أو النقل منه، فقال الذهبي: «محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي صالح لكنه داعية إلى الاعتزال أجارنا الله فكن حذراً من كشافه»[3]، مع أني أرى جواز النظر فيه لمن رسخت قدمه في السنة كما قال ابن حجر وابن خلدون رحمهما الله تعالى.

٢ ـ مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي:

المؤلف:

أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين[4]، ولد في

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي ١٩٠/٢.
(٢) التفسير والمفسرون: للذهبي ٤٦٥/١.
(٣) ميزان الاعتدال: للذهبي ٢٠٣/٥.
(٤) انظر: ترجمته في طبقات المفسرين: للداودي ٢١٣/٢ ـ ٢١٧.

الرَيّ سنة ٥٤٤ وتوفي في هراة سنة ٦٠٦، جمع كثيراً من العلوم فكان إماماً في التفسير، وعلوم الكلام، والعلوم العقلية، والمنطق، والفلسفة واشتهر بذلك وفاق فلاسفة عصره، وكان طبيباً حاذقاً، وقد ندم على الاشتغال بعلم الكلام وكان يقول: ليتني لم أشتغل بعلم الكلام. ثم يبكي[1]. ويقول: لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فلم أجدها تروي غليلاً، ولا تشفي عليلاً، ورأيت أصَحّ الطرق طريقة القرآن[2].

ومن مؤلفاته: (مفاتيح الغيب)، و(المحصول في علم الأصول)، و(درة التنزيل وغرة التأويل) و(الأربعين في أصول الدين)، و(عِصْمَة الأنبياء)، و(نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، و(مسائل الطب) وغير ذلك.

التفسير: ألف الرازي كتابين في التفسير: الأول: التفسير الكبير وسماه (مفاتيح الغيب)، والثاني: التفسير الصغير وسماه: (أسرار التنزيل وأنوار التأويل)[3].

ويُعَدُّ تفسيره (مفاتيح الغيب) أوسع التفاسير في علم الكلام، فقد تأثر كثيراً بالعلوم العقلية فتوسع فيها وسلك في تفسيره مسلك الحكماء والفلاسفة وعلماء الكلام واستطرد في العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والمسائل الطبية، وملأ تفسيره من هذه العلوم حتى قيل عنه: «فيه كل شيء إلا التفسير»[4] والصحيح أن فيه كل شيء مع التفسير.

ومما يعاب عليه أنه يبسط دلائل أهل البدع والفرق المخالفة لأهل السنة بسطاً لا مزيد عليه، ثم يرد عليها رداً غاية في الوهاء، حتى قال بعض أهل العلم: «إنه يورد الشبه نقداً ويردها نسيئة»[5].

ولم يتم الرازي تفسيره هذا بل قيل: إنه بلغ في التفسير إلى سورة

---

(١) طبقات المفسرين: للداودي ٢/٢١٥.

(٢) طبقات المفسرين: للداودي ٢/٢١٥.

(٣) التفسير الكبير: الرازي ج١، ص(هـ) مقدمة الناشر.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي ٢/٢٩٠.

(٥) لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني ٤/٤٢٧ ـ ٤٢٨.

الأنبياء، ثم جاء تلميذه الخُوَيِّي فشرع في تكملته ولم يتمه، وأتمه نجم الدين القمولي، وقيل: إن الخُوَيِّي أكمله، وكتب القمولي تكملة أخرى غيرها، ولا يكاد القارئ يلحظ تفاوتاً بين أساليبهم[1].

وقد طبع هذا التفسير في ٣٢ جزءاً تقع في ستة عشر مجلداً كبيراً.

٣ ـ البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي:

المؤلف:

هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، الشهير بأبي

---

(١) التفسير والمفسرون: للذهبي ٢٩٣/١، وذكر بعض المعاصرين أن الرازي قد أكمل تفسيره بنفسه، وليس لأحد غيره إلا تعليقات لبعض تلاميذه وقد أضيفت إلى المتن، وتابعه على ذلك آخرون مخالفين ما قرره المؤرخون والعلماء من تلاميذ الرازي وغيرهم.

فقد قال ابن أبي أصيبعة في كتابه «عيون الأنباء» ١٧١/٢ في ترجمة الخويِّي: «إن له تتمة تفسير القرآن لابن خطيب الري (يعني: الرازي)». وابن أبي أصيبعة تلميذ الرازي والخُوَيِّي. وقال ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ٢٤٩/٤ عن تفسير الرازي: «وهو كبير جداً لم يكمله». وقال السبكي في «الطبقات» ١٧٩/٥ في ترجمة القمولي: «وله تكملة على تفسير الإمام فخر الدين» وفي «شذرات الذهب» لابن العماد ٧٥/٦ في ترجمة القمولي: «قال الإسنوي: وكمل تفسير ابن الخطيب» يعني: الرازي. وفي «الشذرات» كذلك ٢١/٥ قال ابن قاضي شهبة: «ومن تصانيفه تفسير كبير لم يتمه» وقال ابن حجر في ترجمة القمولي في «الدرر الكامنة» ٢٠٤/١: «وأكمل تفسير الإمام فخر الدين» وقال الخفاجي في «شرح الشفاء» ٢٦٧/١: «الثابت في كتب التأريخ أن التفسير الكبير وصل إلى سورة الأنبياء وكمله تلميذه الخُوَيِّي»، وقد حقق هذه المسألة الشيخ عبدالرحمٰن المعلمي تحقيقاً علمياً قام على استقراء تفسير الرازي توصل فيه إلى أن ما فسره الرازي هو من أول الكتاب إلى آخر تفسير القصص، ومن أول تفسير الصافات إلى آخر تفسير الأحقاف ثم تفسير سورة الحديد والمجادلة والحشر، ثم من أول تفسير سورة الملك إلى آخر الكتاب. وما عدا ذلك فمن تفسير الخُوَيِّي، وللخُوَيِّي أيضاً تعليقات على الأصل. (سلسلة رسائل ١ ـ ٥ للعلامة عبدالرحمٰن المعلمي ١٠١ ـ ١٣٤) (قلت): وهذا هو الصواب، وأقوال المتقدمين في مثل هذا أقرب إلى الصواب من المتأخرين إذا فقد الدليل. قال ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى» ٧١/٢: «وكل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم فإنه يكون خطأ» كما قال الإمام أحمد بن حنبل: «إياك أن تتكلم في السؤال ليس لك فيه إمام».

حيان[1]، ولد في إحدى قرى غرناطة سنة ٦٥٤، وتوفي في القاهرة سنة ٧٤٥.

قال عنه الداودي: «نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه»[2].

ومن مؤلفاته: (النهر الماد من البحر)، و(تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب) وغير ذلك.

التفسير:

هو (البحر المحيط) طبع في ثمانية مجلدات كبار توسع فيه مؤلفه أبو حيان في الإعراب والمسائل النحوية، وذكر الخلاف بين النحويين، والمعاني اللغوية للمفردات واستعمالاتها، وتوجيه القراءات نحوياً وبالبلاغة ووجوهها حتى صار تفسيره أقرب إلى كتب النحو.

وهو مع ذلك لم يُهمِل نواحي التفسير الأخرى، فهو يُورد أسباب النزول والقراءات، والناسخ والمنسوخ ولا يُهمل الأحكام الفقهية للآيات[3].

٤ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود العمادي.

المؤلف:

هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العِمَادي[4]، ولد في إحدى قرى القسطنطينية سنة ٨٩٣ وتوفي فيها سنة ٩٨٢، تَوَلّى القضاء والتدريس والفتوى مما أشغله عن الإكثار من التأليف.

---

(١) انظر: ترجمته في طبقات المفسرين: للداودي ٢٨٦/٦ ـ ٢٩٠.

(٢) طبقات المفسرين: للداودي ٢٨٦/٢.

(٣) التفسير والمفسرون: للذهبي ٣١٨/١.

(٤) انظر ترجمته في: (العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم) المطبوع مع كتاب (الشقائق النعمانية) لطاش كبرى زاده من ص٤٣٩ إلى ص٤٥٤.

تفسيره: اعتمد أبو السعود في تفسيره هذا على تفسير (الكشاف) للزمخشري، و(أنوار التنزيل) للبيضاوي، إلا أنه لم يَغْتَر بما جاء في الكشاف من الاعتزاليات فلم يذكرها إلا للتحذير منها، وإن كان وقع فيما وقع فيه من ذِكر الأحاديث الموضوعة في فضائلِ السور.

وتَمَيّز هذا التفسير بالعناية ببيان وجوه البلاغة في القرآن الكريم وإظهار دقائق المعاني في التراكيب القرآنية، مع عناية ببيان المناسبات بين الآيات وهو مُقِلّ من رواية الإسرائيليات ومن المباحث الفقهية[1].

وطبع هذا التفسير في أربعة مجلدات كبار.

٥ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي.

المؤلف:

هو أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الألوسي[2]، ولد في الكَرْخ من بغداد سنة ١٢١٧، نبغ في كثير من العلوم حتى صار عَلاّمة القطر العراقي، وتوفي في بغداد سنة ١٢٧٠ وله عدد من المؤلفات.

التفسير:

التزم الألوسي رحمه الله في تفسيره مذهب أهل السنة وكان كثيراً ما يرد آراء المعتزلة ويُفنّدها، ويَكِرّ على أقوال الشيعة ويُبطلها استطرد في تفسيره إلى العلوم الكونية، والفلكية، وتوسّع في المسائل النحوية، ويستوفي مذاهب الفقهاء في آيات الأحكام وأدلتهم، وينقد القصص الإسرائيليات ويعيب إيرادها في التفسير.

وتَميّز تفسير الألوسي بالتفسير الإشاري[3]، والإكثار منه حتى عَدّ

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون: للذهبي ٣٤٧/١ ـ ٣٥٢.

(٢) انظر ترجمته في: (أعيان القرن الثالث عشر): خليل مردم بك ص٤٧ ـ ٥٢.

(٣) وهو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضاً.

بعضُ العلماء تفسيره من المؤلفات في التفسير الإشاري، كما أنّ الألوسي يذكر القراءات في الآية، ولا يتقيد بالمتواتر منها، ويعتني بإظهار المناسبات بين الآيات، وبين السور، وأسباب النزول، والاستشهاد بالشعر على ما يذهب إليه من المعاني[1]. ويقع هذا التفسير في ثلاثين جزءاً في خمسة عشر مجلداً.

٣ ـ المؤلفات في التفسير في العصر الحديث ومؤلفوها:

كثرت المؤلفات في علم التفسير في هذا العصر ومنها:

١ ـ محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي[2]:

المؤلف:

هو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم ويعرف بجمال الدين القاسمي، ولد سنة ١٢٨٣ في دمشق، بدأ التدريس في وقت مبكر وكان سلفي المذهب، وعُرفَ عنه عفة اللسان والقلم توفي رحمه الله تعالى في دمشق سنة ١٣٣٢.

ومن مؤلفاته المشهورة (قواعد التحديث) و(إصلاح المساجد من البدع والعوائد) و(تاريخ الجهمية والمعتزلة) و(موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) وغير ذلك.

التفسير:

ويُعرف هذا التفسير بتفسير القاسمي. طبع في سبعة عشر مجداً، وجَعَلَ المُجلّد الأول مقدمة لتفسيره ذكر فيه قواعد وفوائد تُعين على معرفة التفسير وتُطلِعُ على بعض أسراره ودقائقه.

---

(١) التفسير والمفسرون: للذهبي ٣٥٦/١ ـ ٣٦١.

(٢) انظر ترجمته في: مقدمة كتابه (قواعد التحديث).

وفي هذا التفسير كثير من النقول الطويلة عن علماء السلف وكثيراً ما يستشهد رحمه الله تعالى بالأحاديث الصحيحة ويرجع في اللغة إلى كتبها وعاب عليه بعض النُّقاد كثرة النقل وزعموا أنّ الرجل ليس له رأي شخصي. والذي حَمَله على ذلك أنّ البدع انتشرت وعَمَّت حتى صار لها أتباع وحتى صار لها من المنتسبين إلى العلماء من يُدافع عنها ويُحارب من يحاربها، فَلَمَّا ألفَ الشيخُ تفسيره أدرك أنّ أقواله لن يكون لها من القيمة ما لأقوال الأئمة السابقين فكان ينتقي من أقوال السلف ما فيه علاج لأمراض مجتمعه.

٢ ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا:

المؤلف:

هو محمد رشيد بن علي بن رضا[١]، ولد في قرية قلمون جنوب طرابلس الشام سنة ١٢٨٢هـ، سافر إلى مصر، وهو من تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده، وأصدر في مصر مجلة (المنار) وفيها كان ينشر التفسير قبل أن يطبعه في كتاب، وكان له نشاط في الدعوة ونشر الكتب السلفية وتوفي رحمه الله تعالى في القاهرة سنة ١٣٥٤هـ.

وله مؤلفات كثيرة منها: (تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده) في ثلاثة مجلدات، (الوحي المحمدي)، (نداء للجنس اللطيف)، (الوحدة الإسلامية) وغير ذلك.

التفسير:

اقترح الأستاذ محمد رشيد رضا على الشيخ محمد عبده أن يُلقي درساً في التفسير فوافق على ذلك وبدأ الأستاذ يُدوّن ما يسمعه من شيخه ويرتبه ثم ينشره في مجلة المنار، ولهذا عُرِفَ هذا التفسير بتفسير المنار، وقد فَسَّرَ

---

(١) صدر عن الشيخ رشيد عدد من المؤلفات، منها رشيد رضا المفسر لحسيب السامرائي، ورشيد رضا صاحب المنار، لأحمد الشرباصي، ورشيد رضا لإبراهيم العدوي.

الشيخ محمد عبده إلى الآية ١٢٥ من سورة النساء ثم تُوفي فواصل الأستاذ رشيد التفسير حتى وصل إلى الآية ١٠١ من سورة يوسف، ثم توفي وطبع هذا التفسير في اثني عشر مجلداً، وقد قام الأستاذ محمد بهجت البيطار بتفسير بقية سورة يوسف، وضمّ تفسير السورة بعضه إلى بعض وأصدره في كتيب مستقل بعنوان: «تفسير سورة يوسف عليه السلام» وطبع سنة ١٣٥٥هـ.

ونستطيع أن نُقسّم هذا التفسير إلى قسمين: القسم الأول الذي كتبه قبل وفاة شيخه محمد عبده، والقسم الثاني الذي كتبه بعد وفاته، أمّا القسم الأول: فيتصف بقِلّة التفسير بالمأثور وظهور التفسير بالرأي، والتحكيم العقلي، وبيان سنن الله تعالى في المجتمعات، والإصلاح الاجتماعي.

أما القسم الثاني: فظهرت فيه عناية الأستاذ رشيد بالتفسير بالمأثور وكثرة الاستشهاد والاستدلال بالأحاديث، ولهذا قال رحمه الله تعالى: «هذا وإني لمّا استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها»[1].

٣ ـ تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المَنّان: لابن سعدي:

المؤلف:

هو عبدالرحمٰن بن ناصر آل سعدي[2]، ولد في عُنيزة في القصيم سنة ١٣٠٧، توفي والداه وهو صبي فكفلته زوجة أبيه وكانت تقدمه على أولادها وأدخلته مدرسة تحفيظ القرآن فحفظه في الرابعة عشرة من عمره، واشتغل في طلب العلم فقرأ الكتب وحفظ المتون ثم تصدى للتعليم ونشر العلم حتى ذاع صيته.

---

(١) تفسير المنار: رشيد رضا ١٦/١.

(٢) انظر ترجمته في: كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم تأليف عبداللطيف آل الشيخ.

ومن مؤلفاته: (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) وهو خلاصة لهذا التفسير، ومنها: (القواعد الحسان لتفسير القرآن)، ومنها: (المواهب الربّانية من الآيات القرآنية)، ومنها: (التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة) و(الفواكه الشهية في الخطب المنبرية) و(الفتاوى السعدية) وغير ذلك. وتوفي رحمه الله تعالى في عنيزة سنة ١٣٧٦هـ.

التفسير:

طبع هذا التفسير لأول مرة في سبعة مجلدات ثم طبع مراراً في مجلد واحد كبير، ومع هذا فهو تفسير يميل إلى الإيجاز مع وضوح المعنى، ويعتمد المعنى الإجمالي للآيات حيث يورد مجموعة من الآيات ثم يفسرها آية آية وقد يتحدث عنها إجمالاً ثم تفصيلاً موجزاً، ويعتني بمعاني الأسماء والصفات، ومناسبة التذييل بها في كثير من الآيات، وكثيراً ما يبين الحِكَم والأسرار في بعض الأحكام الشرعية، ويُعرِضُ عن الإسرائيليات، ويستطرد أحياناً في ذكر فوائد الآيات وما تدل عليه من الأحكام الشرعية والهدايات القرآنية.

٤ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب:

المؤلف:

هو سيد بن الحاج قطب بن إبراهيم ولد سنة ١٩٠٦م، تخرج في كلية دار العلوم سنة ١٩٣٣م فزاول مهنة التدريس سنوات، ثم موظفاً في وزارة المعارف، ثم أوفد إلى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم فيها لتطبيقها في مصر وكان القصد من إيفاده التخلص من نشاطه في الدعوة، وعاد من أمريكا وقد زاد حماسُه ونشاطه للدعوة، حيث انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وكان يردد (لقد ولدت عام ١٩٥١) وهو عام انضمامه إليهم.

وحين وقع الصدام بين الإخوان وقادة ثورة يوليو في مصر كان

سيد في مقدمة المعتقلين، وحُكِمَ عليه بالسجن خمسة عشر عاماً ألف خلالها في السجن تفسيره (في ظلال القرآن)، وكان هذا التفسير من أسباب خروجه من السجن حيث قرأه الرئيس العراقي عبدالسلام عارف فتوسط عند جمال عبدالناصر لإخراجه بطلب من علماء العراق، وأفرج عنه سنة ١٩٦٤م فواصل مسيرة الدعوة فأعيد إلى السجن وصدر ضده حكم بالإعدام ونُفذ الحكم سنة ١٩٦٦م رغم نداءات العالم الإسلامي واحتجاجهم.

وله مؤلفات كثيرة منها: «معالم في الطريق» وهو من أهم كتبه ومن أسباب إعدامه ومنها: «التصوير الفني في القرآن» و«مشاهد القيامة في القرآن» و«المستقبل لهذا الدين» وغير ذلك.

التفسير:

والكتاب وصف أدبي متميز للحياة كما يرسمها القرآن الكريم، وهو منهج لم يُسْبَق إليه سيد من قبل فمنهج التذوق الأدبي للقرآن الكريم، والتفاعل مع المجتمع الذي ترسمه الآيات، ومطابقته مع المجتمع الحاضر للخروج بمعالم التصحيح ورسم مسار الدعوة والعودة، ثم دراسة الإيقاع الصوتي، والجرس اللفظي للكلمات القرآنية، ودراسة التراكيب منهج لم يَسْبق له مثيل في علم التفسير.

أمّا طريقته في ذلك فخلاصتها أنه يُقدّم لكل سورة بمقدمة يبيّن فيها موضوع السورة ومحورها وأهمّ سِماتِها، ثم يعرض لمقاطعها ويربط بينها ببيان المناسبة وهكذا.. مع الإعراض عن المباحث اللغوية والنحوية وذكر الخلافات الفقهية وتاركاً الخوض فيما أبهمه القرآن مهملاً للإسرائيليات.

وطبع التفسير مرات عديدة آخرها وأشهرها في ستة مجلدات كبار.

٥ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي:

المؤلف:

محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي[١]. ولد رحمه الله في (تنبه) في شنقيط وهي دولة موريتانيا الإسلامية الآن سنة ١٣٢٥هـ.

تلقى العلوم الشرعية واللغة العربية ودرس الأدب دراسة واسعة ودرس الفقه المالكي، ونبغ فيه وحين أدّى الحجّ اتصل بعلماء المملكة فأعجب بهم وعزم على البقاء في هذه البلاد فأذن له الملك عبدالعزيز رحمه الله تعالى بالتدريس في المسجد النبوي، ثم انتقل إلى الرياض للتدريس في المعاهد العلمية، ثم كلية الشريعة، وحين افتتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة عُيّن مُدرساً فيها، كما كان أستاذاً زائراً في المعهد العالي للقضاء بالرياض، وعُيّن عضواً في هيئة كبار العلماء وعضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٣هـ، بمكة.

وله مؤلفات كثيرة منها: (منع جواز المجاز في المُنزَّل للتعبد والإعجاز). و(دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب) و(آداب البحث والمناظرة) وغير ذلك.

التفسير:

وصل المؤلف رحمه الله تعالى في تفسيره هذا إلى آخر سورة المجادلة، ثم أكمل التفسير من بعده تلميذه عطية محمد سالم وصدر التفسير في عشرة مجلدات.

تميز هذا التفسير بميزتين:

الأولى: تفسير القرآن بالقرآن، وقد التزم أن لا يُبيّن القرآن إلا بقراءة سَبْعِية ولم يعتمد البيان بالقراءات الشاذّة.

---

(١) ترجم له تلميذه الشيخ عطية سالم في آخر تفسير أضواء البيان.

والثانية: بيان الأحكام الفقهية ودقة الاستنباط، وحسن التفصيل وقوة الاستدلال.

كما تضمن هذا التفسير تحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب، وتحقيق بعض المسائل الأصولية، والكلام على أسانيد الأحاديث.

ويُعَدُّ هذا التفسير بحق من خير المؤلفات في التفسير قديماً وحديثاً ومن أتْبَعِها للسُّنة وأبعدها عن البدعة، والقارئ فيه يجد رائحة علماء السلف ونقاء سريرتهم، وصفاء عقيدتهم، ودقة استنباطهم، وسعة علمهم، رحم الله مؤلفه رحمة واسعة.

ثانياً: المؤلفات في دراسات التفسير ومناهجه:

وهي مؤلفات كثيرة عديدة سنذكر بعضها إجمالاً، ثم نُعَرّف بعدد قليل منها، فمنها إجمالاً:

١ ـ التيسير في قواعد علم التفسير: محمد بن سليمان الكافيجي (ت٨٧٩) دراسة وتحقيق: د.ناصر بن محمد المطرودي.

٢ ـ الفوز الكبير في أصول التفسير: أحمد بن عبدالرحيم العمري الدهلوي (ت١١٧٦).

٣ ـ مذاهب التفسير الإسلامي: للمستشرق جولد تسيهر، ترجمة: د.عبدالحليم النجار.

٤ ـ المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات: د.محمد بن عبدالرحمٰن المغراوي (٤ مجلدات).

٥ ـ اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر: د.محمد إبراهيم الشريف.

٦ ـ أصول التفسير وقواعده: الشيخ خالد عبدالرحمٰن العك.

٧ ـ فصول في أصول التفسير: د.مساعد بن سليمان الطيار.

٨ ـ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د.فهد بن عبدالرحمٰن الرومي (٣ مجلدات).

والمؤلفات غير هذه كثيرة وسنُعَرّف بمؤلفات أخرى هي:

١ ـ الإكسير في علم التفسير: الطُّوفي:

ومؤلفه:

سليمان بن عبد القوي الصرصري الطوفي[(١)]، ولد بقرية طوفىٰ من أعمال صرصر من سواد بغداد سنة ٦٥٧هـ، كان فقيهاً وشاعراً وأديباً وله مصنفات كثيرة منها: (جدل القرآن) و(بغية الواصل في معرفة الفواصل) وغير ذلك.

أمّا كتابه (الإكسير في علم التفسير) فطبع في جزء واحد، حققه الدكتور عبدالقادر حسين واشتمل الكتاب على مقدمة وثلاثة أقسام، أمّا المقدمة فبيان موجز لمعنى التفسير والتأويل. وأمّا القسم الأول فقسّم فيه الكلام إلى قسمين قسم مُتّضح اللفظ والمعنى لا حاجة له إلى تفسير، وقسم يحتاج إلى تفسير لعدم الإيضاح في لفظه ومعناه. وفي القسم الثاني بيّن المؤلف ما ينبغي للمفسر النظر فيه من العلوم التي اشتمل عليها القرآن، وإذا عَلِمنا أنّ الحديث عن المقدمة والقسمين السابقين كان في (٢٨) صفحة وبقية الكتاب كله عن القسم الثالث، علمنا أنّ هذا القسم هو محور الكتاب ولُبُّه، وتحدث فيه طويلاً عن علمي المعاني والبيان لكونهما ـ كما يقول ـ من أنفس علوم القرآن، وجاء ذلك في أكثر من ثلاث مائة صفحة، وقد أشار إلى أنه اختصر هذا القسم من كتاب ابن الأثير الجزري (الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور)[(٢)].

---

(١) انظر ترجمته في: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٣٦٧/٢، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر٢٤٩/٢.

(٢) طبع هذا الكتاب المجمع العلمي العراقي، بتحقيق: د.مصطفى جواد ود.جميل سعيد.

٢ ـ مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية:

المؤلف:

أحمد بن عبدالحليم الحَرّاني الدمشقي. أبو العباس تقي الدين ابن تيمية. ولد في حَرّان سنة ٦٦١ وهو أشهر من أن يُعرّف، طار صيته وعلت سمعته، واشتهر في الآفاق بعلمه وجهاده، سُجن وأوذي، فصبر واحتسب ومات معتقلاً في السجن بدمشق سنة ٧٢٨.

وله مؤلفات عديدة جمع الشيخ عبدالرحمٰن القاسم وابنه محمد بعضها في خمسة وثلاثين مجلداً ووضعا لها فهارس في مجلدين، ومن كتبه: (درء تعارض العقل والنقل) في أحد عشر مجلداً تحقيق د.محمد رشاد سالم ومنها: (منهاج السنة النبوية) في تسعة مجلدات بتحقيق د.محمد رشاد سالم أيضاً، ومنها: (الصارم المسلول على شاتم الرسول)، ومنها: (اقتضاء الصراط المستقيم)، ومنها: (الجواب الصحيح لمن بَدّل دين المسيح)، ومنها: (الرسالة التدمرية) و(العقيدة الواسطية) و(الإيمان) و(بُغْيةُ المُرتاد) وغير ذلك كثير.

أمّا كتابه (مقدمة في أصول التفسير) فترجع تسميته بهذا الاسم إلى قوله في المقدمة: (فقد سألني بعض الإخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تُعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه)[١].

ولذلك وَضَع بعض المتأخرين هذا العنوان لها. ومن العبارة السالفة نعرف موضوع هذه المقدمة، وهي من أهم ما كتب في هذا الموضوع فقد قسّم الحديث فيها إلى خمسة فصول، بيّن في (الفصل الأول) أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه، وتحدّث في (الفصل الثاني) عن الخلاف الواقع بين السلف في التفسير، وفي (الفصل الثالث) تحدّث عن الاختلاف في التفسير من حيث المستند. واقتصر في هذا الفصل على الحديث عن النوع الأول منه وهو ما مستنده النقل وتحدث في (الفصل الرابع) عن النوع الثاني وهو ما مستنده الاستدلال بغير النقل وهذا النوع

---

(١) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية تحقيق د.عدنان زرزور ص٣٣.

حدث بعد الصحابة والتابعين والذين وقعوا فيه قومان (قوم) اعتقدوا معاني ثم حَمَلوا ألفاظ القرآن عليها، و(قوم) فسّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يُريدَه العربي بكلامه من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمُنزَّل عليه والمخاطب به، فالأولون راعوا المعنى والآخرون راعوا مجرد اللفظ، وفي (الفصل الخامس) تحدث عن أفضل طرق التفسير، وختم المقدمة بالحديث عن تفسير القرآن بمجرد الرأي.

وهذه المقدمة من أنفس ما ألف في موضوعها ولا تزال منهلاً يَنَهلُ منه العلماء.

٣ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن: لابن سعدي:

وقد سبق التعريف بمؤلفه رحمه الله تعالى.

أمّا الكتاب فقد عَرَّف به مؤلفه رحمه الله تعالى في المقدمة حيث قال: «فهذه أصول وقواعد في تفسير القرآن الكريم، جليلة المقدار، عظيمة النفع، تعين قارئها ومتأملها على فهم كلام الله، والاهتداء به، ومَخْبَرُها أجَلُّ من وَصْفِها، فإنها تفتح للعبد من طرق التفسير ومنهاج الفهم عن الله ما يغني عن كثير من التفاسير الخالية من هذه البحوث النافعة»[١].

وقد ذكر رحمه الله تعالى سبعين قاعدة وضَرَب الأمثلة لكل قاعدة منها فجاء كتابه في أربع ومائتين من الصفحات، وطبع سنة ١٣٦٦هـ، بتصحيح محمد حامد الفقي.

٤ ـ التفسير والمفسرون: الذهبي[٢]:

المؤلف:

هو الشيخ محمد حسين الذهبي ولد في قرية مطوبس في مصر سنة

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبدالرحمٰن بن سعدي ص٣.

(٢) انظر ترجمته في: كتاب (من الدراسات القرآنية المعاصرة في علوم القرآن) عبدالله القرني ص٢٢٥.

١٣٣٣، حصل على شهادة العالمية من الأزهر سنة ١٣٦٥هـ، وكان البحث الذي تقدم به للحصول على هذه الدرجة هو كتابه (التفسير والمفسرون)، عمل مدرساً في مصر والسعودية وفي الكويت وفي العراق وعُيِّن وزيراً للأوقاف المصرية أغتيل رحمه الله تعالى في يوليو سنة ١٩٧٧م.

ومن مؤلفاته رسالة بعنوان: (الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم) و(الإسرائيليات في التفسير والحديث) و(أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع).

أمّا كتابه (التفسير والمفسرون) فهو موسوعة شاملة في تاريخ التفسير منذ نشأته إلى العصر الحديث، وقد عَرَّف به مؤلفُه رحمه الله تعالى في مقدمته فقال: «هو كتاب يبحث عن نشأة التفسير وتطوره، وعن مناهج المفسرين وطرائقهم في شرح كتاب الله تعالى وعن ألوان التفسير عند أشهر طوائف المسلمين ومن ينتسبون إلى الإسلام وعن ألوان التفسير في هذا العصر الحديث، وراعيت أن أضمّن هذا الكتاب بعض البحوث التي تدور حول التفسير: من تَطَرُّقِ الوضع إليه، ودخول الإسرائيليات عليه وما يجب أن يكون عليه المفسر عندما يحاول فهم القرآن أو كتابة التفسير»[١].

وقد طبع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء سنة ١٣٨١هـ، ثم نشرته إحدى دور النشر في لبنان فدَمَجت الجُزئين الثاني والثالث في مجلد واحد فصار الكتاب كُله في مجلدين، وبعد موته رحمه الله عثرت أسرته بين أوراقه على كراستين بخطه عبارة عن نقول أعدّها في الفترة من ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣م أثناء عمله أستاذاً بكلية الشريعة ببغداد، قال مُعِدها للنشر: «يبدو أنه ـ رحمه الله ـ كان يُمهّد بهذه النقول للتعليق عليها لتكون إضافة جديدة إلى بحثه الشامل عن (التفسير والمفسرون) عند الشيعة الاثني عشرية والإسماعيلية ولكنّ قضاء الله سبق، فلم يتيسر له ذلك»[٢].

---

(١) التفسير والمفسرون: للذهبي ٩/١.

(٢) المرجع السابق: ٣/٣.

وقد نشرت مكتبة وهبة في القاهرة هاتين الكراستين بعد وضع مقدمة لها بنقل ما كتبه ابن حزم عن الشيعة، وما كتبه عنهم الشهرستاني، ثم نقل ما كتبه الذهبي نفسه عن الشيعة وموقفها من التفسير في الجزء الثاني من كتابه (التفسير والمفسرون)[1]، وقُدمَت هذه النقول الطويلة كتمهيد بين يَدي الكراستين فجاءت النقول في نحو ١٣٦ صفحة.

والكتاب بأجزائه الأولى لا يكاد يستغني عنه الباحث في علم التفسير.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

(١) المرجع السابق: ٣/٤.

المصادر والمراجع

١ ـ **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**: فهد بن عبدالرحمٰن الرومي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢ ـ **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين السيوطي، الطبعة الثانية ١٣٤٣هـ، المطبعة الأزهرية بمصر، والطبعة الثالثة، ١٣٧٠هـ، مصطفى البابي الحلبي، وطبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت، بتحقيق: فؤاد زمرلي ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤م.

٣ ـ **الإجماع في التفسير**: د.محمد بن عبدالعزيز الخضيري. طبع على نفقة محمد بن صالح الراجحي ـ دار الوطن الرياض ـ الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤ ـ **الإحكام في أصول الأحكام**: ابن حزم الظاهري، دار الجيل ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧، وطبعة مكتبة الخانجي ـ القاهرة الطبعة الأولى ١٣٤٥، وطبعة دار الآفاق الثانية ١٤٠٣.

٥ ـ **الإحكام في أصول الأحكام**: أبو الحسن علي الآمدي تعليق عبدالرزاق عفيفي، الطبعة الأولى، مؤسسة النور بالرياض.

٦ ـ **أحكام القرآن**: أبو بكر أحمد بن علي الجصاص، دار الفكر ـ بيروت.

٧ ـ **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**: محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأولى، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٦هـ.

٨ ـ **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**: ملا علي القاري، تحقيق: محمد الصباغ، ١٣٩١.

٩ ـ **الأسماء والصفات**: أبو بكر البيهقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٠ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: ابن حجر العسقلاني، مصورة عن الطبعة الأولى مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ.

١١ - **أصول التفسير وقواعده:** خالد عبدالرحمٰن العك، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٢ - **أصول في التفسير:** الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن القيم، الدمام - الطبعة الأولى ١٤٠٩.

١٣ - **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عالم الكتب - بيروت.

١٤ - **إعراب القراءات السبع وعللها:** أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق: د. عبدالرحمٰن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣.

١٥ - **إعلام الموقعين:** ابن القيم - دار الجيل - بيروت.

١٦ - **أعيان القرن الثالث عشر:** خليل مردم، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٧ - **الإكسير في علم التفسير:** سليمان بن عبد القوي الصرصري الطوفي، تحقيق: د. عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب - القاهرة.

١٨ - **الإكليل في المتشابه والتأويل:** ابن تيمية، مكتبة أنصار السنة المحمدية - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٣٦٦هـ.

١٩ - **الأم:** محمد بن إدريس الشافعي، كتاب الشعب، ١٣٨٨.

٢٠ - **أمالي المرتضى:** علي بن الحسين المرتضى مكتبة المرعشي - قم - الطبعة الأولى، ١٤٠٣.

٢١ - **إملاء ما من به الرحمٰن من وجوه الإعراب والقراءات:** لأبي البقاء العكبري، دار مكتبة الهلال - بيروت.

٢٢ - **إنباه الرواة على أنباء النحاة:** لجمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية - ١٣٧١.

٢٣ - **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ:** أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محيي الدين رمضان مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٩٠.

٢٤ - **بحر العلوم:** لأبي الليث السمرقندي ت عادل عبدالموجود وعلي معوض - دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٥ - **البحر المحيط:** أبو حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، وطبعة دار الكتب العلمية ت عادل عبدالموجود وزميله ١٤١٣.

٢٦ ـ **البحر المحيط في أصول الفقه**: بدر الدين الزركشي، تحقيق: عبدالقادر العاني ـ دار الصفوة ـ الغردقة ط الثانية ـ ١٤١٣هـ.
٢٧ ـ **البرهان في علوم القرآن**: بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ. وطبعة المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤م، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٢٨ ـ **بيان إعجاز القرآن**: أبو سليمان الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف بمصر.
٢٩ ـ **تاج العروس**: محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
٣٠ ـ **تاريخ الأدب العربي**: كارل بروكلمان، ترجمة: عبدالحليم النجار، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤م، دار المعارف بمصر.
٣١ ـ **تاريخ بغداد**: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية المدينة المنوّرة.
٣٢ ـ **تاريخ التراث العربي**: فؤاد سزكين، ترجمة: د.محمود حجازي ود.فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.
٣٣ ـ **تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر)**: عبدالرحمٰن بن خلدون مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٣٤ ـ **تاريخ الخلفاء**: جلال الدين السيوطي، إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.
٣٥ ـ **التبيان في آداب حملة القرآن**: يحيى بن شرف الدين النووي، تحقيق وتخريج: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد الطائف ـ الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٣٦ ـ **التبيان في إعراب القرآن**: أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٣٧ ـ **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.
٣٨ ـ **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**: أثير الدين أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د.أحمد مطلوب ود.خديجة الحديثي، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف العراقية، الطبعة الأولى ١٣٩٧.
٣٩ ـ **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**: جمال الدين المزي، تصحيح: عبدالصمد شرف الدين.

٤٠ - **تذكرة الحفاظ**: أبو عبدالله شمس الدين الذهبي، مجلس إدارة المعارف العثمانية - حيدرآباد - الدكن - الهند، ١٣٧٥هـ، الطبعة الثالثة.

٤١ - **التسهيل لعلوم التنزيل**: محمد بن أحمد بن جزئ الكلبي الغرناطي، تحقيق: محمد اليونسي وإبراهيم عوض، دار الكتب الحديثة، مصر.

٤٢ - **التصاريف**: يحيى بن سلام، تحقيق: د.هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م.

٤٣ - **التعريفات**: السيد الشريف الجرجاني، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، وأولاده، بمصر ١٣٥٧هـ.

٤٤ - **تفسير ابن أبي حاتم الرازي**: ت أحمد الزهراني وحكمت بشير، دار طيبة.

٤٥ - **تفسير التابعين**: د.محمد بن عبدالله الخضيري، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠.

٤٦ - **تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)**: علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، المعروف بالخازن، دار الفكر، بيروت.

٤٧ - **التفسير القيم**: ابن القيم جمعه محمد أويس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٨.

٤٨ - **التفسير الكبير**: الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، وطبعة دار الفكر الثالثة ١٤٠٥.

٤٩ - **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)**: مكتبة النهضة الحديثة بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ.

٥٠ - **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**: د.مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٢، الدمام - السعودية.

٥١ - **تفسير مجاهد**: قدم له وحققه: عبدالرحمٰن الطاهر السورتي، المنشورات العلمية - بيروت.

٥٢ - **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**: د.أحمد الكومي ود.محمد أحمد القاسم، الطبعة الأولى ١٤٠٢.

٥٣ - **التفسير معالم حياته - منهجه اليوم**: أمين الخولي، جماعة الكتاب ١٩٤٤م، وطبعة دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.

٥٤ - **التفسير والمفسرون**: محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ، والجزء الثالث، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٥٥ - **تفسير المنار**: محمد رشيد رضا، الطبعة الرابعة، دار المنار بمصر ١٣٧٣هـ.

٥٦ - **التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل**: حامد العمادي (مخطوطة مصورة في مكتبة الحرم المدني).

٥٧ - **تقييد العلم**: الخطيب البغدادي، الطبعة الثانية، تحقيق: يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٥٨ - **تهذيب التهذيب**: ابن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، ١٣٢٥هـ.

٥٩ - **تهذيب اللغة**: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبدالحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٦٠ - **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتخريج: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف بمصر، وطبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

٦١ - **جامع بيان العلم وفضله**: لأبي عمر يوسف ابن عبدالبر، صححه: عبدالرحمٰن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٨٨.

٦٢ - **الجامع لأحكام القرآن**: أبو عبدالله محمد القرطبي أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٦٥م، وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦٣ - **الجامع الصحيح**: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٤ - **الحدود في أصول الفقه**: أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: مصطفى محمود المالكي، دار ابن عفان - الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٦٥ - **الخصائص**: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي - بيروت، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٦هـ.

٦٦ - **خصائص القرآن الكريم**: فهد بن عبدالرحمٰن الرومي، دار طيبة، الرياض الطبعة السابعة، ١٤١١هـ.

٦٧ - **خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم**: د. محمد رجب البيومي، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب الثاني والأربعون، شوال ١٣٩١هـ.

٦٨ - **درء تعارض العقل والنقل**: ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٦٩ - **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**: لأحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق.

٧٠ - **دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني**: د. أحمد جمال العمري مكتبة الخانجي - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٧١ - **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة - مصر.
٧٢ - **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: جلال الدين السيوطي، الناشر: محمد أمين دمج - بيروت، مؤسسة الرسالة.
٧٣ - **ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني**: شرح أبي سعيد السكري، دار صادر - بيروت ١٤٠١.
٧٤ - **ديوان عامر بن الطفيل**: رواية أبي بكر الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار بيروت - بيروت ١٤٠٢.
٧٥ - **ديوان عبدالله الزبعرى**: تحقيق: يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧.
٧٦ - **ذم الكلام وأهله**: لأبي إسماعيل الهروي، تحقيق: عبدالله بن محمد الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٩.
٧٧ - **الذيل على طبقات الحنابلة**: ابن رجب، دار المعرفة - بيروت.
٧٨ - **روح المعاني**: شهاب الدين محمود الألوسي، دار الفكر - بيروت ١٣٩٨.
٧٩ - **زاد المسير**: ابن الجوزي، المكتب الإسلامي ط الثالثة ١٤٠٤.
٨٠ - **سلسلة رسائل (١ - ٥)**: **العلامة عبدالرحمٰن المعلمي**، أعدها للنشر: ماجد الزيادي، المكتبة المكية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٧.
٨١ - **سنن أبي داود**: تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء السنَّة النبوية.
٨٢ - **سنن الدارقطني**: الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب، بيروت.
٨٣ - **سنن سعيد بن منصور**: سعيد بن منصور بن شعبة الخرساني المكي، تحقيق: عبدالرحمٰن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥.
٨٤ - **السنن الكبرى**: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.
٨٥ - **سنن ابن ماجه**: دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.
٨٦ - **سنن النسائي**: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت ١٣٩٨.
٨٧ - **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، أشرف على التحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.
٨٨ - **الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم**: د.عبدالرحمٰن بن معاضة الشهري، مكتبة دار المنهاج - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣١.

٨٩ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: ابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٩٠ ـ **شرح العقائد النسفية**: سعد الدين التفتازاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٢١هـ.

٩١ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**: علي بن علي بن أبي العز، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، مطبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ، بتحقيق جماعة من العلماء.

٩٢ ـ **شرح الكوكب المنير**: تقي الدين محمد بن شهاب الدين الفتوحي، المعهد العلمي السعودي بالرياض، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ، مطبعة السنة المحمدية.

٩٣ ـ **شعب الإيمان**: أحمد بن الحسين البيهقي، المطبعة العزيزية، حيدرآباد ـ الهند، ١٩٨٣م.

٩٤ ـ **الصاحبي في فقه اللغة**: ابن فارس، المكتبة السلفية ـ مصر ١٩١٠م، وطبعة عيسى البابي الحلبي، تحقيق: السيد أحمد صقر ـ القاهرة.

٩٥ ـ **صحيح البخاري**: المكتبة الإسلامية، إستانبول ـ تركيا، ١٩٧٩م.

٩٦ ـ **صحيح مسلم**: تحقيق وتصحيح وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ـ الرياض ١٤٠٠هـ.

٩٧ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**: تاج الدين السبكي، دار المعرفة ـ بيروت، ط٢، وأيضاً طبعة عيسى البابي الحلبي، بتحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، الطبعة الأولى ١٣٨٣.

٩٨ ـ **الطبقات الكبرى**: أبو عبدالله محمد بن سعد مطبعة بريل ١٣٣٢هـ ليدن، وطبعة دار صادر بيروت، ١٣٨٨هـ.

٩٩ ـ **طبقات المفسرين**: جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة الطبعة الأولى.

١٠٠ ـ **طبقات النحويين واللغويين**: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ بمصر الطبعة الثانية.

١٠١ ـ **طبقات المفسرين**: شمس الدين محمد بن علي الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى.

١٠٢ ـ **العدة في أصول الفقه**: أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء، تحقيق: د.أحمد بن علي بن سير المباركي، الطبعة الثالثة، ١٤١٤. وأيضاً الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٠.

١٠٣ ـ **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**: علي بن لالي بالي، المطبعة الميمنية ـ مصر ١٣١٠هـ.

١٠٤ ـ **العمدة في غريب القرآن**: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١.

١٠٥ ـ **العين**: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد ـ بغداد ١٩٨١م.

١٠٦ ـ **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**: ابن أبي أصيبعة، دار ثقيف ـ الرياض.

١٠٧ ـ **غريب الحديث**: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: عبدالكريم العزباوي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ـ جامعة أم القرى ١٤٠٢.

١٠٨ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح: عبدالعزيز بن باز، ترقيم: محمد عبد الباقي، دار الفكر، مصورة عن الطبعة السلفية.

١٠٩ ـ **فتح البيان في مقاصد القرآن**: صديق حسن خان، دار الفكر العربي (بدون تاريخ ولا مكان النشر).

١١٠ ـ **الفتح السماوي**: بتخريج أحاديث تفسير القاضي البيضاوي زين الدين عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: أحمد مجتبى بن نذير عالم السلفي، طبعة دار العاصمة ـ الرياض ١٤٠٩.

١١١ ـ **الفرائد الجديدة**: السيوطي، تحقيق: عبدالكريم المدرس، وزارة الأوقاف العراقية.

١١٢ ـ **الفروق اللغوية**: أبو هلال العسكري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود.

١١٣ ـ **فصول في أصول التفسير**: د. مساعد بن سليمان الطيار، دار النشر الدولي ـ الرياض الطبعة الأولى ١٤١٣.

١١٤ ـ **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه**: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد عبدالواحد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب ١٤١٥، وأيضاً طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي، الطبعة الأولى ١٤١١.

١١٥ ـ **الفكر الديني في مواجهة العصر**: عفت الشرقاوي، مكتبة الشباب بمصر.

١١٦ ـ **فواتح الرحموت بشرح مُسَلَّم الثبوت**: عبدالعلي محمد بن نظام الدين، بهامش كتاب المستصفى للغزالي، مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٣٢٢، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.

١١٧ - **في ظلال القرآن**: سيد قطب، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ، دار الشروق بيروت - القاهرة.
١١٨ - **القاموس المحيط**: مجد الدين الفيروزآبادي، مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة.
١١٩ - **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية، ١٣٨٠ دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
١٢٠ - **قواعد الترجيح عند المفسرين**: د.حسين بن علي الحربي، دار القاسم - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٧.
١٢١ - **قواعد التفسير جمعاً ودراسة**: د.خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧.
١٢٢ - **القواعد الحسان لتفسير القرآن**: عبدالرحمٰن بن ناصر السعدي، تصحيح محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٦هـ.
١٢٣ - **قول الصحابي في التفسير الأندلسي**: د.فهد بن عبدالرحمٰن الرومي، مكتبة التوبة - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠.
١٢٤ - **الكشاف**: الزمخشري، طبعة انتشارات آفتاب - تهران، وطبعة دار المعرفة بيروت.
١٢٥ - **الكشف عن وجوه القراءات السبع**: أبو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق: د.محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
١٢٦ - **لسان العرب**: ابن منظور، دار صادر، بيروت.
١٢٧ - **لسان الميزان**: ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ.
١٢٨ - **مباحث في التفسير الموضوعي**: د.مصطفى مسلم، دار القلم - دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٢٩ - **مجاز القرآن**: لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠١.
١٣٠ - **مجمع الزوائد**: علي الهيثمي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢.
١٣١ - **مجموع فتاوى ابن تيمية**: جمع عبدالرحمٰن بن قاسم وابنه محمد، مطابع الرياض - الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ.
١٣٢ - **محاسن التأويل**: محمد جمال الدين القاسمي، صححه ورقمه: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة الأولى ١٣٧٦.
١٣٣ - **المحرر الوجيز**: ابن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالي الفاروقي وآخرين، طبع على نفقة أمير قطر الطبعة الأولى ١٣٩٨، الدوحة - قطر.
١٣٤ - **مذاهب التفسير الإسلامي**: اجنتس جولد تسيهر، ترجمة: د.عبدالحليم النجار، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٣٥ ـ **مراتب الإجماع**: ابن حزم، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٣٦ ـ **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة ١٣٧٨.
١٣٧ ـ **المستدرك على الصحيحين في الحديث**: الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية ـ بيروت وطبعة دار المعرفة ـ بيروت.
١٣٨ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: المكتب الإسلامي، دار صادر ـ بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ، وطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٣هـ، الطبعة الرابعة، بتحقيق وتخريج: أحمد محمد شاكر.
١٣٩ ـ **مشاهير علماء نجد وغيرهم**: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ.
١٤٠ ـ **مشكاة المصابيح**: محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، بيروت.
١٤١ ـ **مشكل إعراب القرآن**: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥.
١٤٢ ـ **مصنف ابن أبي شيبة**: عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق وتصحيح: عامر العمري الأعظمي، الدار السلفية ـ الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٠.
١٤٣ ـ **معاني القرآن وإعرابه**: للزجاج تحقيق عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب ط الأولى ١٤٠٨.
١٤٤ ـ **معالم التنزيل**: أبو محمد الحسين البغوي، تحقيق: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦.
١٤٥ ـ **معاني القرآن**: سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: د.عبدالأمير الورد، عالم الكتب ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥.
١٤٦ ـ **معجم الأدباء**: ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأخيرة.
١٤٧ ـ **معجم القواعد العربية في النحو والتصريف**: عبدالغني الدقر، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦.
١٤٨ ـ **المعجم الكبير**: الطبراني، تحقيق وتخريج: حمدي السلفي، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، والطبعة الثانية وزارة الأوقاف العراقية.
١٤٩ ـ **معرفة علوم الحديث**: الحاكم النيسابوري، مكتبة المعارف ـ الطائف.

١٥٠ ـ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: أبو محمد عبدالله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الباز ـ مكة المكرمة.

١٥١ ـ **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**: الفخر الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥٢ ـ **مفتاح السعادة**: طاش كبري زادة، مراجعة وتحقيق: كامل بكري وعبدالوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.

١٥٣ ـ **المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات**: محمد بن عبدالرحمٰن المغراوي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠، وطبعة دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

١٥٤ ـ **مفهوم التفسير والتأويل**: د.مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي ـ الدمام، ط١، عام ١٤٢٣.

١٥٥ ـ **مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير**: د.مساعد بن سليمان الطيار، دار المحدث ـ الرياض، وشبكة التفسير والدراسات القرآنية ـ الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥.

١٥٦ ـ **مقدمة جامع التفاسير**: الراغب الأصفهاني، تحقيق: د.أحمد حسن فرحات، دار الدعوة ـ الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

١٥٧ ـ **مقدمة في أصول التفسير**: ابن تيمية، تحقيق: د.عدنان زرزور، دار القرآن الكريم ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.

١٥٨ ـ **المكتفي في الوقف والابتداء**: أبو عمرو الداني، تحقيق: د.يوسف المرعشلي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٥٩ ـ **مناهج المفسرين**: د.مساعد مسلم آل جعفر، د.محيي الدين هلال السرحان، وزارة التعليم العالي، العراق، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

١٦٠ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن**: محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

١٦١ ـ **من الدراسات المعاصرة في علوم القرآن**: عبدالله بن مجدوع القرني، طبع على نفقة الأمير سلمان بن عبدالعزيز ـ الرياض مطابع الرياض، الطبعة الأولى ١٣٩٤.

١٦٢ ـ **المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم**: د.كامل سعفان، الطبعة الأولى ١٩٨١م، مكتبة الأنجلو المصرية.

١٦٣ ـ **منهج النقد في التفسير**: د.إحسان الأمين، دار الهادي ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨.

١٦٤ ـ **الموافقات في أصول الشريعة**: أبو إسحاق الشاطبي، بشرح عبدالله دراز وترقيم محمد عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت.

١٦٥ - **الموطأ**: الإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٠هـ.
١٦٦ - **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٢، وطبعة دار الفكر العربي.
١٦٧ - **النبأ العظيم**: د. محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.
١٦٨ - **النبذ في أصول الفقه**: ابن حزم ت محمد الحمود - مكتبة دار الذهبي - الكويت ط الأولى ١٤١٠.
١٦٩ - **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**: جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤.
١٧٠ - **نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض**: أحمد بن محمد الخفاجي، المطبعة الأزهرية - القاهرة ١٣٢٥.
١٧١ - **نظرة في الإجماع الأصولي**: د.عمر الأشقر - دار النفائس - الكويت ط الأولى ١٤١٠.
١٧٢ - **نقد الصحابة والتابعين للتفسير**: د. عبدالسلام بن صالح الجار الله، دار التدمرية، الطبعة الأولى ١٤٢٩.
١٧٣ - **النكت والعيون**: للماوردي راجعه وعلق عليه السيد عبدالمقصود بن عبدالرحيم - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٧٤ - **نواسخ القرآن**: ابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف الملباري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
١٧٥ - **النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير، تحقيق: محمود الطناحي، الناشر: المكتبة الإسلامية.
١٧٦ - **الواضح في أصول الفقه**: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي، تحقيق: د. عبدالرحمٰن بن عبدالعزيز السديس الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ مكتبة الرشد.
١٧٧ - **الوسيط**: علي بن أحمد الواحدي، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٧٨ - **وفيات الأعيان**: ابن خلكان، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية.

المجلات:

١٧٩ - **مجلة أصول الدين**: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - العدد الثاني.

للمؤلف:

١ - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (في مجلدين): الطبعة الرابعة.
٢ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (ثلاثة مجلدات): الطبعة الثالثة.
٣ - خصائص القرآن الكريم: الطبعة الثانية عشرة.
٤ - الصلاة في القرآن الكريم: الطبعة السابعة.
٥ - قصة عقيدة: الطبعة الأولى.
٦ - دراسات في علوم القرآن الكريم: الطبعة الواحد والعشرون.
٧ - بحوث في أصول التفسير ومناهجه: الطبعة العاشرة.
٨ - البدهيات في القرآن الكريم: الطبعة الثانية.
٩ - البدهيات في الحزب الأول من القرآن الكريم: الطبعة الثانية.
١٠ - التفسير الفقهي في القيروان: الطبعة الثانية.
١١ - منهج المدرسة الأندلسية في التفسير: الطبعة الثانية.
١٢ - وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف الهجائية المقطعة: الطبعة الثانية.
١٣ - مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها: الطبعة الثانية.
١٤ - قول الصحابي في التفسير الأندلسي: الطبعة الأولى.
١٥ - تطبيق الحدود الشرعية وأثره على الأمن: الطبعة الأولى.
١٦ - تحريف المصطلحات القرآنية في القرن الرابع عشر: الطبعة الأولى.
١٧ - نقل معاني القرآن الكريم إلى لغة أخرى أترجمة أم تفسير؟: الطبعة الأولى.
١٨ - جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين: الطبعة الأولى.
١٩ - الأمن النفسي في القرآن الكريم: الطبعة الأولى.
٢٠ - الاستدلال بالظواهر الكونية في الحوار القرآني طرقه وضوابطه وأغراضه (تحت الطبع).
٢١ - القوامة في القرآن الكريم حق من حقوق المرأة (تحت الطبع).
٢٢ - ضوابط البحث في الإعجاز العددي (تحت الطبع).
٢٣ - تحريف معاني النصوص القرآنية في المدرسة الحداثية (تحت الطبع).
٢٤ - الصفة الكاشفة في القرآن الكريم (تحت الطبع).
٢٥ - أثر القرآن الكريم في بقاء اللغة العربية وانتشارها (تحت الطبع).
٢٦ - أثر تعلم القرآن الكريم في اكتساب المهارة اللغوية (تحت الطبع).
٢٧ - أصول التفسير ومناهجه: الطبعة الثالثة.

تحقيق:

٢٨ - تفسير الفاتحة للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: الطبعة الخامسة.

٢٩ - تفسير الفاتحة (مختصر) للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: الطبعة الرابعة.

٣٠ - تفسير سورة الفلق للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: الطبعة الرابعة.

٣١ - تفسير سورة الناس للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: الطبعة الثانية.

٣٢ - فضائل القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله: الطبعة الثانية.

٣٣ - قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: ط.الأولى.

بالاشتراك:

٣٤ - طرق تدريس التجويد وأحكام تعلمه وتعليمه: بالاشتراك مع د.محمد الزعبلاوي.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

فهرست الموضوعات

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑